

المملكة الذوقية
وأثرها في الإجتهد الفقهي
(دراسة مقارنة)

The queen of taste and its impact on jurisprudence Comparative study

الباحث

الدكتور عمر شاكرا الكبيسي

Dr. Omar Shaker Al-Kubaisi

Summary:

In their jurisprudence, the jurists took up the aspect of the queen when deducing and judging the chain of narrators, and used the name of the juristic queen.

The research aims to explain the meaning of the jurisprudential queen as a term used by the jurists, its relationship to human taste and character, and to know the foundations and controls that govern the relationship between the cognitive queen and the sense of taste.

The research consisted of an introduction that included the reasons behind choosing this topic, the research problem and its plan, four investigations, and a conclusion that included the most important findings and recommendations, and among the most prominent of these results is that the Ducal Queen is not a form of speculation and a distraction, rather it is either light and wisdom that God throws into the hearts of the properties of his creation It also appeared in authentic hadiths of the Prophet, or it is an experience mixed with longevity

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الملخص

تناول الفقهاء في اجتهادهم جانب الملكة عند الاستنباط والحكم على الأسانيد، واصطلحوا لها تسمية الملكة الفقهية.

ويهدف البحث إلى بيان معنى الملكة الفقهية كمصطلح يتداوله الفقهاء، وعلاقتها بالذوق والطبع الإنساني، ومعرفة الأسس والضوابط التي تحكم العلاقة بين الملكة المعرفية والحس الذوقي.

وقد جاء البحث مكوناً من مقدمة تضمنت الأسباب وراء اختيار هذا الموضوع ومشكلة البحث وخطته، وأربعة مباحث، وخاتمة تضمنت أهم النتائج والتوصيات، ومن أبرز تلك النتائج أن الملكة الذوقية ليست ضرباً من التخمين والخرص، بل هي إمان نور وحكمة يقذفها الله في قلوب خواص خلقه، كما ظهر في أحاديث نبوية صحيحة، وإما أن تكون خبرة امتزجت بطول الزمن مع العلم والصلاح، فتولد عنها ذوق معرفي يميز بين مختلف الأمور.



with knowledge and righteousness, then it generates a taste for knowledge that distinguishes between various matters.

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين. وأما بعد؛ فإن للملكة الفقهية والعلمية في التشريع الإسلامي أهمية كبيرة؛ باعتبارها موردا لتتاج علمي مستمر، يساهم في تنمية الحياة الاجتماعية والاقتصادية، وسببا رئيسا في الحركة الاجتهادية من خلال تحريك النصوص الشرعية ضمن مجموعة من الأصول والضوابط. وهذه الملكة توجد في بعض الناس، وتنعدم في كثير منهم، وهي إن وجدت فإنها تتفاوت بناءً على تفاوت أصحابها في العلم والمعرفة والقرب من الله تعالى وتوفيقه، وفي هذا البحث نتناول بيان معناها وحكمها ومعاييرها، فجاءت الفكرة موسومة بعنوان «المملكة الذوقية وأثرها في الاجتهاد الفقهي دراسة مقارنة».

* * *

أولا : أسباب اختيار الموضوع

- ١- اظهار مرونة الفقه الإسلامي وقدرته الاستيعابية للمستحدثات في المجالات العلمية والفكرية.
- ٢- تعزيز القيمة التراكمية للمعرفة بما يرسخ ذوقا مكينا يفصل في المسائل ويحدد الاجتهاد الفقهي

- ٣- الحاجة إلى معرفة الطرق التي لجأ إليها الفقهاء، في تحرير الأحكام الفقهية بالاعتماد على الملكة الذوقية والحس الفقهي.
- ٤- التمييز بين الملكة الذوقية المبنية على صلاح السريرة والخبرة العلمية في وبين الفكر الباطني المبني على الوهم والخيال.
- ثانيا : مشكلة البحث
- يضع الباحث تصوره عن مشكلة البحث انطلاقا من أن الإسلام حثّ على العلم عموما وعلى التفقه خصوصا ورغب فيها، ومن ذلك الترغيبُ في اختيار الأحسن، لذلك يمكن صياغة مشكلة البحث بالسؤالين الآتيين :
- ١- ما المقصود بالملكة الذوقية ؟ ، وما هو الموقف الشرعي منها؟
- ٢- هل يمكن اعتماد الملكة الذوقية العلمية في فهم النصوص الشرعية ؟ ، وما هي آثار ذلك على الأحكام الشرعية؟
- ثالثا : أهمية الموضوع:
- تكمن أهمية الموضوع في الوقوف على مفهوم الملكة الذوقية، وأثرها في العملية الاجتهادية، وبيان حكمها الشرعي؛ لإظهار سعة ومرونة الفقه الإسلامي في التعامل مع النصوص الشرعية، وانعكاساتها على المجتمع الإسلامي في مختلف مناحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، كما أنها تعزز من احترام الإنسان وتقدير ملكاته وخبراته التراكمية في الإنتاج العلمي والبناء المعرفي
- رابعا : الدراسات السابقة:
- لم أقف حسب اطلاعي على من كتب في الملكة الذوقية من حيث مفهومها ومشروعيتها وتطبيقاتها، ما خلا دراسة للأستاذ الدكتور عثمان محمد شبير في (الملكة الفقهية) وهو بحث تناول فيه مراتب المجتهدين وسبل تكوين الملكة لديهم ، ولا صلة لما ارمي اليه في بحثي هذا بالبحث الموسوم كوني أتطلع الى توضيح الفراسة الذائقة المنضبطة بالثوابت العلمية وفق معايير الشرع.
- خامسا: منهج البحث
- اعتمد الباحث على منهجين رئيسيين :
- الأول : المنهج الوصفيّ: وذلك من خلال التوصيف في القسم النظري لمفهوم الملكة الذوقية، ومعرفة مدلولاتها الشرعية؛
- الثاني : المنهج التحليليّ: وذلك بتناول الآراء الفقهية للفقهاء، وتحليل وجوه دلالتها، ومناقشتها وعرض ثمراتها، وبيان الراجح منها.
- خامسا : خطة البحث:
- جاء البحث مكونا من مقدمة وأربعة مباحث، تضمنت المقدمة الأسباب وراء اختيار هذا الموضوع ومشكلة البحث وخبطته.
- وأما المبحث الأول: لبيان معنى الملكة الذوقية ومشروعيتها.
- وخصصت المبحث الثاني: لمصدرية الملكة الذوقية وأحكامها الشرعية.
- وجعلت المبحث الثالث: لعرض الملكة الفقهية

وصلتها بالذوق المعرفي.

وأما المبحث الرابع: فهو لمعايير المملكة الذوقية ثم خاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها في البحث والتوصيات التي يمكن أن تستثمر في حقول علمية أخرى .

وألحقت بالبحث قائمة بأهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في التوثيق والتعزيز . والله أسأل أن بأوله ووسطه وآخره وما كان فيه من صواب وخير فمن الله فله الحمد والشكر على ذلك وان كان فيه غير فمن نفسي وما توصل إليه جهدي والحمد لله رب العالمين



المبحث الأول

بيان معنى المملكة الذوقية وانواعها ومشروعيتها

تداول الفقهاء مصطلح «المملكة» لمن يُحسن الفصل في الأدلة، أو الترجيح بين الآراء، أو يُحسن الاستنباط منها والتعامل معها، ونجد المحدثين يلمع الذوق والفطنة في التمييز بين الأحاديث والحكم عليها عندهم ، وتارة تنسب هذه المملكة إلى الفقه فيقال: المملكة الفقهية، وتارة يعبر عنها بما يشبه الفراسة فيقال : الإلهام، وما يجمع بين علمي الفقه والحديث من عرفان رباني وعرفان علمي ، ذائقة يملكها الفقيه والمحدث بما يشبه البصيرة والحكمة، التي تمنحه بهداية الله تعالى الاختيار الصحيح، أو الترجيح بين الفاضل والمفضل والحسن والأحسن.

وفي ثنايا هذا المبحث نتناول بيان معنى المملكة الذوقية وأنواعها في المطالب الآتية:

- المطلب الأول: المملكة الذوقية المفهوم والدلالة يلزم لبيان معنى المملكة الذوقية معرفة معنى المملكة، ومعنى الذوق وصولاً إلى تحرير معنى المملكة الذوقية، وهو ما نتناوله في الفروع الآتية:
- الفرع الأول: تعريف المملكة الذوقية باعتبارها مركبا
- أولاً: المملكة في اللغة: وردت كلمة المملكة في

لسان العرب ولغتهم مأخوذة من ملك، والجذر اللغوي لها (م ل ك) وهو كما قال ابن فارس: أصل صحيح يدل على قوة في الشيء وصحة، يقال: أملك عَجِينَهُ: قوَى عَجَنَهُ وشَدَّهُ، ومَلَّكْتُ الشيءَ: قوَيْتُهُ... والأصل هذا، ثم قيل ملك الإنسان الشيءَ يَمَلِكُهُ مَلَكًا، والاسم المَلِكُ؛ لأنَّ يده فيه قوة صحيحة ((^(١))).

٢- وعرفها البركتي بقوله: (صفة راسخة في النفس))^(٤)
٣- وعرفها العطار بقوله: الهيئة الراسخة في النفس^(٥)
٤- وعرفها الشنقيطي بقوله سجية راسخة في النفس تحصل للمُدرك بعد إدراك مسائل الفن وممارستها^(٦).

وأيد الزمخشري ذلك بقوله: «ملك الشيء وامتلكه وتملكه، وهو مالكة وأحد مُلَاكِهِ، وهذا مَلِكُهُ ومَلِكُ يده، وهذه أملاكه، وقال قُشَيْرِيٌّ: كانت لنا ملوك من نخل أي أملاك. ولله الملكُ والملكوتُ، وهو المَلِكُ والمَلِكِيك. وملك فلانٌ سنين، وهو صاحب مُلْكٍ ومملكة وممالك»^(٢).

ثانياً: الملكة في الاصطلاح: تعددت فيها عبارات العلماء ومن أهمها:

١- عرفها ابن خلدون بأنها الإحاطة بمبادئ العلم وقواعده، والوقوف على مسائله، واستنباط فروعها (من أصوله)^(٣).

(٤) البركتي: محمد عميم الإحسان المجدي، قواعد الفقه، الصدف بيلشرز-كراتشي، ط ١، ١٤٠٧هـ، ص ٥٠٦.
(٥) العطار: حسن بن محمد الشافعي (ت: ١٢٥٠هـ) حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، دار الكتب العلمية، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ، ٤٢١/٢.

(٦) الشنقيطي، عبد الله بن إبراهيم العلوي، نشر البنود على مراقبي السعود، تقديم: الداوي ولد سيدي بابا - أحمد رمزي، مطبعة فضالة، المغرب، بدون طبعة وبدون تاريخ، ١٧/١.
(٧) ابن فارس، مقاييس اللغة، ٣٦٤/٢.

(١) ابن فارس: مقاييس اللغة، ٣٥١/٥-٣٥٢. مادة (ملك)
(٢) الزمخشري: محمود بن عمر (ت: ٥٣٨هـ)، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، ٢٢٧/٢.

(٣) ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد الحضرمي الإشبيلي (ت: ٨٠٨هـ)، تاريخ ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، ٥٤٣/١.

ذوقاً^(١). وهو التعرف عن طعم الشيء باللسان واللهاة^(٢).
فذاق، ويقال: فلان ذاق كذا، وأنا أكلته أي خَبَرْتُهُ فوق ما خَبَرَ^(٦).

وهنا لا بد من بيان أن الذوق والطبع قد يُطلقان على القوة المهيأة للعلوم، من حيث كمالها في الإدراك بمنزلة الإحساس، من حيث كونها بحسب الفطرة، وقد يُخصَّصُ الذوقُ بما يتعلق بلطائف الكلام، لكونه بمنزلة الطعام اللذيذ الشهويِّ لروح الإنسان المعنوي، والطبع بما يتعلق بأوزان الشعر لكونها بمحض الجبلة، بحيث لا ينفع فيها أعمال الجبلة إلا قليلاً^(٧).

وأصل الذوق فيما يقل تناوله دون ما يكثر، فإن ما يكثر منه يقال له الأكل^(٤).

رابعاً: الذوق في الاصطلاح: الذوق في الاصطلاح شاع في تعرف الطعم، ثم كثر حتى جعل استعماله عبارة عن كل تجربة، يقال: (ذقتُ فلاناً) و(ذقت ما عنده)^(٥). كما يعبر به عن الاختبار، فيقال: أذقته كذا

بعد عرض متعلقات المملكة الذوقية في اللغة والاصطلاح وما انطوى عليه هذا المصطلح من معان تقرب حقيقة المفهوم وتوضح الدلالة، لم أقف حسب علمي وإطلاعي على تعريف جامع مانع يعطي المقصود ولعل ذلك راجع إلى عدم اطراد هذا المصطلح في جميع الأفراد المعرفية بل قاصر على من تمكن بعد الدربة ونال ذلك بالتعبد والقربة ولكن نصوا على أن الملكة هي: «أمر يهجم على قلوبهم لا يمكنهم رده، وهيئة نفسانية لا معدل لهم عنها، ولهذا ترى الجامع بين الفقه

(١) ابن عادل: أبي حفص عمر بن علي الدمشقي الحنبلي (ت: بعد ٨٨٠ هـ)، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٩ هـ ١٩٩٨ م، ٦١/٩.

(٢) البركتي: محمد عميم الإحسان المجددي، التعريفات الفقهية، نشر: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٤ هـ، ص ١٠٠.

(٣) المناوي: محمد عبد الرؤوف (ت: ١٠٣١)، التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: محمد رضوان الدايدة، دار الفكر المعاصر، دار الفكر، بيروت، دمشق ١٤١٠ هـ، ص ٣٥٢.

(٤) الراغب: الحسين بن محمد الأصفهاني (ت: ٥٠٢ هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ، ص ٣٣٢.

(٥) الكفوي: أيوب بن موسى الحسيني (ت: ١٠٩٤ هـ)، الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية،

تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، ص ٤٦٢.

(٦) الراغب: المفردات في غريب القرآن، ص ٣٣٢.

(٧) ينظر: الكفوي: الكليات ص ٤٦٢.

الدكتور عمر شاكر الكبيسي || ١٦١

والحديث كابن خزيمة، والإسماعيلي، والبيهقي، وابن عبد البر لا ينكر عليهم، بل يشاركهم ويحذو حذوهم، وربما يطالبهم الفقيه أو الأصولي العاري عن الحديث بالأدلة^(١).
ومما تقدم من تعريف الملكة والذوق وبعد إضافة الذوق إلى الملكة، استشرف بانه يمكن القول بأن الملكة الذوقية: صبغة ربانية يهبها الله تعالى لصنف من خلقه بالتأييد لهم على صلاحهم وسلامة قلوبهم، أو يمكنها لآخرين بالتوفيق، عن طريق بذل الأسباب والاجتهاد بالعلم وسلامة القلب والجوارح من العيوب الأخلاقية ((.
فالمملكة الذوقية هي أقرب إلى ما يسمى بفقه النفس وهي صفة في النفس جبلية، تحقق لصاحبها شدة الفهم لمقاصد الكلام كالتفريق بين المنطوق والمفهوم، قال السيوطي: «وفقه النفس لا بد منه، وهو غريزة لا تتعلق بالاكساب»^(٢).
• **المطلب الثاني: أنواع الملكة الذوقية**
لم يتطرق الفقهاء قديماً الى بيان أنواع الملكة الذوقية، ولكن يمكن تقسيمها انطلاقاً واستنباطاً

من طروحاتهم لها من حيث مصدرها والمحل الذي تتأتى منه وهي على قسمين :
القسم الأول: ملكة الذوق الوهبية وهي ما خصّ الله بها صنوفاً من العباد بمزايا من عنده سبحانه، يفضل بها من يشاء من خلقه كحسن الخلق والفتنة وغيرها، قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ٢٦٩]، وهذا ان دل على شيء فإنما يدل على اختصاص الحق بعض الخلق بالحكمة كعطاء من الله تعالى من غير اكتساب. في الوقت الذي تطلق فيه الحكمة على عدة معان منها: العدل، والعلم، والحلم، والنبوة، والقرآن، والإنجيل، والسنة، والفقه بالدين، والعمل به^(٣)، وقد رجح الامام مالك أن الحكمة هي الفقه في الدين، حيث قال: «الذي يقع في قلبي أن الحكمة هي الفقه، ومما يتبين ذلك أن الرجل تجده عاقلاً في أمر الدنيا ذا نظر فيها وبصر بها ولا علم له بدينه، وتجد آخر ضعيفاً في أمر الدنيا عالماً بأمر دينه بصيراً به، يؤتاه الله إياه ويحرمه هذا، فالحكمة الفقه في دين الله»^(٤).

(١) السخاوي: محمد بن عبد الرحمن (ت: ٩٠٢هـ)، فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي، تحقيق: علي حسين علي، مكتبة السنة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ١/ ٢٨٩.

(٢) السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت: ٩١١هـ) تقرير الاستناد في تفسير الاجتهاد، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الدعوة، الاسكندرية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ، ٤٣/ .

(٣) ينظر: الجرجاني: التعريفات، ١/ ٩١، الآلوسي: روح المعاني، ٩/ ٢٦٩.

(٤) القرطبي: يوسف بن عبد الله (ت: ٤٦٣هـ)، جامع بيان العلم وفضله، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، ٨٣/ ١.

و: «الفقه في الدين هو معرفة أسرار الأمور وفقه الأحكام، وبيان المصلحة فيها، والطريق إلى العمل بها، وهو يبعث على العمل والالتزام، كما أن العمل يوصل إلى الفقه في الدين، أو طرق الاستدلال، ومعرفة الحقائق ببراهينها، وهي طريقة القرآن»^(١) فالحكمة تأتي بمعنى الملكة الفقهية، لأنها تنشأ عند الإنسان بأمرين، هما:

الأول: نور يقذفه الله في قلب العالم المسلم، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

الثاني: بالاكْتِسَاب، ويؤيد ذلك ما روي عن عبد الله بن مسعود قال: قال النبي ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً، فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله حكمة، فهو يقضي بها ويعلمها»^(٢).

فالحكمة تُكْتَسَبُ بالعلم، قال ابن مسعود: «نعم المجلس مجلس تنشر فيه الحكمة وترجى فيه الرحمة»^(٣).

(١) رضا: تفسير المنار، ٤ / ١٨٣.

(٢) البخاري: صحيح البخاري، كتاب: الزكاة، باب: إنفاق المال في حقه، ٢ / ١٠٨، رقم: ١٤٠٩.

(٣) الدارمي: عبد الله بن عبد الرحمن، التميمي السمرقندي (ت: ٢٥٥هـ)، سنن الدارمي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المغني للنشر والتوزيع، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م، ١ / ٣٣٣، رقم: ٢٩٥، تعليق المحقق: «رجاله ثقات غير أنه منقطع عون بن عبد الله لم يسمع من عبد الله

والحكمة من هبات الله تعالى وتأكيد ذلك ما ورد في السنة من شأن رجل يقال له: أشج عبد القيس، وكان رجلاً حليماً وقوراً فقال له رسول الله ﷺ: «إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة»^(٤)، وفي رواية أبي داود: قال: يا رسول الله أنا أتخلق بهما أم الله جبلني عليهما؟ قال: «بل الله جبلك عليهما». قال: الحمد لله الذي جبلني على خلتين يحبهما الله ورسوله^(٥).

وقد دل هذا النص وما ذكره رسول الله ﷺ من اختصاص الله له بخصلتي الحلم والأناة فهي محض عطاء من الله تعالى.

قال ابن الأزرق: «ذكروا في الشروط الدالة على حصول الملكة في العلم أموراً، وهي:

- ١- المعرفة بأصول أي علم كان
- ٢- وما بينى عليه ذلك العلم
- ٣- وما يلزم عنه

فيما نعلم».

(٤) مسلم: صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله، وشرائع الدين، والدعاء إليه، ١ / ٤٨، رقم: ١٧.

(٥) أحمد: مسند الإمام أحمد، حديث وفد عبد القيس، ٢٩ / ٣٦١، رقم: ١٧٨٢٨، أبو داود: سنن أبي داود، أبواب النوم، باب في قبلة الرجل، ٤ / ٣٥٧، رقم: ٥٢٢٥، والحديث صحيح، ينظر: البخاري: محمد بن إسماعيل (ت: ٢٥٦هـ)، الأدب المفرد، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، ١ / ٢١٩، رقم: ٥٨٥.

عنه، وإدراكه الفرق علم يصادفه في قلبه بالذوق، ولا يشك في أن لوقوعه في قلبه سببا وله عند الله تعالى حقيقة، ولا يمكنه الإخبار عنه لا لقصور في لسانه، بل لدقة المعنى في نفسه عن أن تناله العبارة، وهذا مما قد تفتن له المواظبون على النظر في المشكلات»^(٤).

القسم الثاني : ملكة الذوق الكسبية

وهي الملكة التي يكتسبها صاحبها بالدربة والمران على فعل الأشياء أو تركها، حتى تغدو عنده سلوكا وموهبة تميزه عن سواه، وقد أشار العلماء إلى هذا. قال ابن خلدون: «إن الحدق في العلم والتفنن فيه والاستيلاء عليه إنما هو بحصول ملكة في الإحاطة بمبادئه وقواعده والوقوف على مسائله واستنباط فروعها من أصوله، وما لم تحصل هذه الملكة لم يكن الحدق في ذلك الفن»^(٥).

وقد أكد السلف أهمية اكتساب الخبرة المعرفية في بناء الملكة الذوقية، فقالوا: «هذا النوع -يعني معرفة علل الحديث- من أغمض الأنواع وأدقها، ولذا لم يتكلم فيه كما سلف إلا الجهابذة أهل الحفظ والخبرة والفهم الثاقب مثل ابن المديني، وأحمد، والبخاري، ويعقوب بن شيبة، وأبي حاتم، وأبي زرعة، والدارقطني»^(٦).

٤- والقدرة على التعبير عن مقصوده، وعلى دفع الشبه الواردة عليه فيه»^(١).

وقد ذكر عن أبي يوسف أنه قال : وإذا اختلف الفقهاء في مسألة من المسائل، فإن أعلم الناس أبصرهم بالحق إذا اختلف الناس، فهذه صفة الفقهاء الراسخين في الفقه^(٢). وقد روي عن مالك أنه قال للشافعي وهو غلام يطلب العلم: «إن الله ألقى على قلبك نوراً فلا تطفئه بالمعصية»^(٣).

يقول الغزالي: «واعلم أن كل واحد منهما ينقسم إلى ما يمكن التعبير عنه عند الإفاقة منه، وإلى ما لا تمكن العبارة عنه أصلاً، ولعلك تستبعد حالة أو علما لا تعلم حقيقته ولا يمكن التعبير عنه عن حقيقته فلا تستبعد ذلك، فإنك تجد في أحوالك القريبة لذلك شواهد، أما العلم فكم من فقيه تعرض عليه مسألتان متشابهتان في الصورة، ويدرك الفقيه بذوقه أن بينهما فرقا في الحك، وإذا كلف ذكر وجه الفرق لم يساعده اللسان على التعبير وإن كان من أفصح الناس، فيدرك بذوقه الفرق ولا يمكنه التعبير

(١) ابن الأزرقي الغرناطي، محمد بن علي بن محمد الأصبحي الأندلسي، بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق: د. علي سامي النشار، نشر: وزارة الإعلام، العراق، ط ١، ٣٣٧/٢.

(٢) ينظر: ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ٨٠٧/٢.

(٣) الجويني: عبد الملك بن عبد الله الملقب بإمام الحرمين (ت: ٥٤٧٨هـ)، نهاية المطلب في دراية المذهب، تحقيق: عبد العظيم محمود الديب، دار المنهاج، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، ١/ ١١٢.

(٤) الغزالي: إحياء علوم الدين، ٢/ ٢٩٥.

(٥) ابن خلدون: التاريخ، ١/ ٥٤٣.

(٦) السخاوي: فتح المغيـث بشرح ألفية الحديث، ١/ ٢٨٨.

وتخضع المملكة الذوقية لأنماط من المراس والمران، بما يجعلها راسخة غير طارئة وثابتة غير زائلة، وقد التفت الى ذلك ابن خلدون إذ يقول:

«اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيداً إذا كان على التدرج شيئاً فشيئاً وقليلًا فقليلًا، يلقى عليه أولاً مسائل من كل باب من الفن، هي أصول ذلك الباب، ويقرب له في شرحها على سبيل الإجمال، ويراعى في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يرد عليه حتى ينتهي إلى آخر الفن، وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم إلا أنها جزئية ضعيفة، وغايتها أنها هيأته لفهم الفن وتحصيل مسأله، ثم يرجع به إلى الفن ثانية، فيرفعه في التلقين عن تلك الرتبة إلى أعلى منها، ويستوفي الشرح والبيان ويخرج عن الإجمال، ويذكر له ما هنالك من الخلاف.. فتجود ملكته، ثم يرجع به وقد شذا فلا يترك عوبصًا ولا مهمًا ولا مغلقًا إلا وضحه، وفتح له مقفله، فيخلص من الفن وقد استولى على ملكته»^(١).

• المطلب الثالث: أهمية المملكة الذوقية

ألمح القرآن الى قابلية المملكة الذوقية في الاختيار بتفعيل الإيمان واعتماد التقوى سلوكا حياتيا لترسيخ المملكة الذوقية السليمة باعتبارها أثراً من آثار الإيمان والتقوى، وقد أردفت السنة بما يعزز من تنمية المملكة الذوقية من خلال تشريع صلاة

الاستخارة بما يرسخ القدرات الذهنية والقلبية، وتطوير المملكة الذوقية واستقامتها، وهو ما تناوله في الفروع الآتية:

الفرع الأول: آية المملكة الذوقية

الإيمان والتقوى ركيزتان أساسيتان في البناء الذوقي لسلوكيات الإنسان، ولهما رمزية كبيرة تتعدى بفوائدها ومآثرها الحصر والتعداد، ولعل من أبرز ما أومأ القرآن الكريم إليه هدايات قلبية، تترك آثارها على المؤمن باستقامته وحسن اختياره، وقد جاءت النصوص القرآنية لترسيخ ما يلي:

أولاً: الإيمان وفاعلية الذوق

أشار القرآن الكريم إلى أن من أسباب هدايات المملكة الذوقية، تقوى الله تعالى والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [يونس: ٩]، وقد أشار القرآن الى أن من هدايات المملكة الذوقية من خلال الإيمان والعمل الصالح، والذي يفضي إلى هداية خاصة صرح القرآن بها في قوله تعالى: ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾، فتعين هذه الهداية على التمييز بين حقائق الأشياء.

ويحرر ابن عاشور هذا النص: «والهداية: الإرشاد على المقصد النافع والدلالة عليه، فمعنى يهديهم ربهم يرشدهم إلى ما فيه خيرهم، والمقصود الإرشاد التكويني، أي يخلق في نفوسهم المعرفة بالأعمال النافعة وتسهيل الإكثار منها، وأما الإرشاد الذي هو

(١) ابن خلدون: التاريخ، ١/ ٧٣٤.

تزول الشبه والشكوك عن القلب إلا إذا وصل العبد إلى هذه الحال، فباشر الإيمان قلبه حقيقة المباشر، فيذوق طعمه ويجد حلاوته والله الموفق»^(٤).

إلا أن الهداية وإن ذكرت على سبيل الثمرة، إلا أنها ترمي إلى تحول الإيمان إلى ملكة يهتدي فيها الإنسان إلى الهدى بهداية الله تعالى، فكأنها نور يخص الله به العباد، للثبات على الدين، يقول ابن عاشور: «فالهداية بالإيمان خصوصية تتعلق بادراك المعارف الناتجة عن القرب من الله تعالى يقول الطاهر بن عاشور: «يجعل الله للإيمان نُوراً يوضع في عقل المؤمن، ولذلك النور أشعة نورانية تتصل بين نفس المؤمن وبين عوالم القدس، فتكون سبباً مغناطيسياً لانفعال النفس بالتوجه إلى الخير والكمال لا يزال يزداد يوماً فيوماً، ولذلك يقترب من الإدراك الصحيح المحفوظ من الضلال بمقدار مراتب الإيمان والعمل الصالح ... ولأجل هذا النور كان أصحاب النبي ﷺ أكمل الناس إيماناً لأنهم لما تلقوا الإيمان عن النبي ﷺ كانت أنواره السارية في نفوسهم أقوى وأوسع»^(٥).

ثانياً: التقوى وتنمية الذوق

«التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله»^(٦). وهي سبب للفرقان، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

الدلالة بالقول والتعليم فالله يخاطب به المؤمنين والكافرين»^(١).

وقد بين رسول الله ﷺ عمق العلاقة بين الإيمان والذوق، فذكر السبب والنتيجة فعن العباس بن عبدالمطلب -رضي الله عنه- أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولا»^(٢).

وقال عن النتيجة ما رواه أنس -رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار»^(٣).

يقول ابن القيم: «وهذا الذوق هو الذي استدل به هرقل على صحة النبوة، حيث قال لأبي سفيان: فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه، فقال: لا، قال: وكذلك الإيمان إذا خالطت حلاوته بشاشة القلوب، فاستدل بما يحصل لأتباعه من ذوق الإيمان الذي خالطت بشاشته القلوب.. والمقصود أن ذوق حلاوة الإيمان والإحسان أمر يجده القلب،... فللإيمان طعم وحلاوة يتعلق بهما ذوق ووجد، ولا

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ١١ / ١٠١.

(٢) مسلم: صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا، ١ / ٦٢، رقم: ٣٤.

(٣) البخاري: صحيح البخاري، كتاب: الإكراه، باب: من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر، ٩ / ٢٠، رقم: ٦٩٤١.

(٤) ابن القيم: مدارج السالكين، ٣ / ٨٧-٨٨.

(٥) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ١١ / ١٠٢-١٠٣.

(٦) ابن رجب: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد، البغدادي،

تصونوا أنفسكم عن كل ما يغضبه، وتطيعوه في السر والعلن ﴿يَجْعَلُ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ أي هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل، ونصرا تعلق به كلمتكم على كلمة أعدائكم، ومخرجا من الشبهات التي تقلق النفوس، ونجاة مما تخافون»^(٣).

والحق الذي يعتصم به من عاش لله ومع الله ولأجل الله تعالى، فيخصه بذائقة تمكنه من النأي عن الريبة وتصده عن مواطن الشبهات، وكل ما فيه مخرج لهم ونجاة من التباس الأحوال وارتباك الأمور وانبهاهم المقاصد، فيؤول إلى استقامة أحوال الحياة، حتى يكونوا مطمئني البال منشرحي الخاطر وذلك يستدعي أن يكونوا: منصورين، غالبين، بصراء بالأمور، كملة الأخلاق سائرين في طريق الحق والرشد، وذلك هو ملاك استقامة الأمم، فاختيار الفرقان هنا، لأنه اللفظ الذي لا يؤدي غيره مؤداه في هذا الغرض وذلك من تمام الفصاحة»^(٤).

ثالثا: الاستبصار

وهو ميزة فيمن وهبه الله ملكة الذوق وهي «قوة للقلب المنور بنور القدس يرى بها حقائق الأشياء وبواطنها، بمثابة البصر للنفس»^(٥).

وهي قوة القلب المدركة: جاء في القرآن قوله تعالى: ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢]، وقال: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾

أَمْثُوا إِنَّ تَقْوَى اللَّهِ يَجْعَلُ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيَكْفُرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الأأنفال: ٢٩]، والفرقان الذي يجعله الله للمؤمن هو: «العلم والهدى الذي يفرق به صاحبه بين الهدى والضلال، والحق والباطل، والحلال والحرام، وأهل السعادة من أهل الشقاوة»^(١).

وقد أوجز الألوسي مقالة أهل التفسير من الفرقان فقال: «فرقانا أي هداية ونورا في قلوبكم تفرقون به بين الحق والباطل كما روي عن ابن جريج وابن زيد، أو نصرا يفرق بين المحقق والمبطل بإعزاز المؤمنين وإذلال الكافرين كما قال الفراء، أو نجاة في الدارين كما هو ظاهر كلام السدي، أو مخرجا من الشبهات كما جاء عن مقاتل، أو ظهورا يشهر أمركم وينشر صيتكم كما يشعر به كلام محمد بن إسحاق - من بت أفعل كذا حتى سطع الفرقان - أي الصبح، وكل المعاني ترجع إلى الفرق بين أمرين، وجوز بعض المحققين الجمع بينها»^(٢).

وقال طنطاوي: «ونحن مع هذا البعض من المحققين في جواز الجمع بين هذه المعاني فيكون المعنى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَقْوَى اللَّهِ﴾ بأن

(المتوفى: ٥٧٩٥هـ)، جامع العلوم والحكم، المحقق: شعيب الأرنؤوط - إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٧، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ١/ ٤٠٠.

(١) السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٣١٩.

(٢) الألوسي: روح المعاني، ٥/ ١٨٤.

(٣) طنطاوي: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ٦/ ٨٣.

(٤) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٩/ ٣٢٦.

(٥) الألوسي: روح المعاني، ٤/ ٣٣١.

[النجم: ١٧] ^(١).

منهم» ^(٤).

والإستبصار طريق يهتدي به المسلم ببصيرته وهو مما يمتن الله به على بعض عباده ، قال تعالى ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴾ [الأنعام: ١٠٤] ، وهي للقلب بمنزلة البصر للعين، فهي النور الذي يبصر به القلب، كما أن البصر هو النور الذي تبصر به العين، والمراد بها آيات القرآن ودلائله التي يفرق بها بين الهدى والضلالة» ^(٢).

ومن بلاغة القرآن أنه « استعير الإبصار في قوله: ﴿أَبْصَرَ﴾ للعلم بالحق والعمل به لأن المهتدي بهذا الهدي الوارد من الله بمنزلة الذي نور له الطريق بالبدر أو غيره، فأبصره وسار فيه، وبهذا الاعتبار يجوز أن يكون أبصر تمثيلاً موجزاً ضمن فيه تشبيه هيئة المرشد إلى الحق إذا عمل بها أرشد به، بهيئة المبصر إذا انتفع ببصره» ^(٣).

الفرع الثاني: محل الاختصاص بالمملكة الذوقية

عند تتبع أحاديث النبي ﷺ نجد أن له تصريحاً بأهل المملكة الذوقية، ممن يخصصهم الله بذلك، فعن عائشة -رضي الله عنها-، عن النبي ﷺ، أنه كان يقول: «قد كان يكون في الأمم قبلكم محدثون، فإن يكن في أمتي منهم أحد، فإن عمر بن الخطاب

(٤) مسلم: صحيح مسلم، كتاب: فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب: من فضائل عمر -رضي الله تعالى عنه-، ٤ / ١٨٦٤، رقم: ٢٣٩٨.

(٥) أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت: ٥٢٤١)، فضائل الصحابة، تحقيق: وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ - ١٩٨٣، ١ / ٣٦٢، رقم: ٥٣٠.

(٦) الأجرى: محمد بن الحسين البغدادي (ت: ٣٦٠هـ)، الشريعة، تحقيق: عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، دار الوطن، الرياض، السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠ - ١٩٩٩م، ٤ / ١٨٩١.

(١) الراغب: المفردات في غريب القرآن، ص ١٢٧.

(٢) طنطاوي: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ٥ / ١٤٩.

(٣) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٧ / ٤١٩.

تنطق ألسنتهم بالحكمة كما كان لسان عمر -رضي الله عنه- ينطق بما كان ينطق به منها»^(١).

٤- وقال ابن قتيبة: «يريد قوما يصيبون إذا ظنوا وحسدوا، فكأنهم حدثوا بشيء فقالوه»^(٢)، قال ابن الأثير: أنهم الملهمون. والملمم هو الذي يلقي في نفسه الشيء فيخبر به حدسا وفراسة، وهو نوع يختص به الله عز وجل من يشاء من عباده الذين اصطفى، مثل عمر، كأنهم حدثوا بشيء فقالوه»^(٣).

وبعد عرض هذه الأقوال يظهر للباحث أن العلماء من أهل الذوق ليسوا كباقي الخلق في علاقتهم مع الله، واصطفاء الله تعالى لهم دلالة على صلاح قلوبهم، وفي الحديث يقول النبي ﷺ: «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين»^(٤). ومهما يكن من أمر، فإن الملكة الذوقية قد تكون نوعا من العطاء اللدني، الذي يخص الله به الأولياء وهو ما أشار إليه البيهقي بقوله: «وهذا الحديث أصل في جواز كرامات الأولياء»^(٥).

(١) الطحاوي: شرح مشكل الآثار، ٤ / ٣٣٧.

(٢) ابن الجوزي: عبد الرحمن بن علي الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، كشف المشكل من حديث الصحيحين، تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض، ٣ / ٣٨١.

(٣) ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، ١ / ٣٥٠.

(٤) البخاري: صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، ١ / ٢٥ (٧١)، ومسلم: صحيح مسلم، كتاب: الزكاة، باب: النهي عن المسألة، ٢ / ٧١٨، رقم: ١٠٣٧.

(٥) البيهقي: أحمد بن الحسين (ت: ٤٥٨هـ)، الاعتقاد،

المبحث الثاني

مصدرية الملكة الذوقية

وأحكامها الشرعية

الملكة الذوقية هي امتلاك القدرة العلمية والروحية في اختيار الأحسن من الحسن أو الصحيح من المشبوه، وهذه الملكة قد تنعدم في كثير من الناس وقد توجد في بعضهم، وبالرغم من وجودها فإنها تتفاوت بناء على درجة التفاوت في العلم والمعرفة والقرب من الله تعالى، وفي هذا المبحث نتناول مصدريتها وحكمها في المطلبين الاتيين:

• المطلب الأول: مصدرية الملكة الذوقية

أحال الشارع السائلين عن تفاصيل دينهم إلى أهل التخصص من رجال الفقه والعلم، فقال تعالى: ﴿فَسأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، بيد أن المستفتي قد يتعرض لريبة في الجواب ربما تعود إلى شخص المفتي لعله في دينه، أو نقص في استيعاب السؤال أحيانا، أو إلى طبيعة شخصية المستفتي أحيانا أخرى، مما يجعل المستفتي في ريبة من أمره، وفي هذا المطلب نتناول مصدرية الملكة الذوقية ومعناها وصورها. وكما يأتي:

تحقيق: أحمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠١هـ، ١ / ٣١٤.

فقال: «البر ما سكنت إليه النفس، واطمأن إليه القلب، والإثم ما لم تسكن إليه النفس، ولم يطمئن إليه القلب، وإن أفتاك المفتون»^(٣).

وقد دلت النصوص على أمرين:

أحدهما: الارتباط الوثيق بين البر وسلامة القلب واطمئنان النفس، ونكران القلب وعزوفه عن الريبة والمشبهه، وبما يرسخ معنى المملكة الذوقية، قال المناوي: «استفتت نفسك» المطمئنة الموهوبة نورا يفرق بين الحق والباطل والصدق والكذب، إذ الخطاب لوابصة وهو يتصف بذلك، وفي رواية «قلبك» أي عول على ما فيه، لأن للنفس شعورا بما تحمد عاقبته أو تذم «وإن» غاية لمقدر دل عليه ما قبله أي فالتزم العمل بما في نفسك ولو «أفتاك المفتون» بخلافه لأنهم إنما يطلعون على الظواهر^(٤).

وقال القرطبي: لكن هذا إنما يصح ممن نور الله قلبه بالعلم، وزين جوارحه بالورع، بحيث يجد للشبهة أثرا في قلبه، كما يحكى عن كثير من سلف هذه الأمة^(٥).

(٣) أحمد: المسند، مسند الشاميين، حديث أبي ثعلبة الخشني، ٢٩ / ٢٧٧، رقم: ١٧٧٤٣، الطبراني: المعجم الكبير، ٢٢ / ٢١٩، رقم: ٥٨٥، قال الألباني: «رواه أحمد بإسناد جيد»، الألباني: صحيح الترغيب والترهيب، ٢ / ٣٢٤، رقم: ١٧٣٥.

(٤) المناوي: فيض القدير شرح الجامع الصغير، ١ / ٤٩٥.

(٥) القرطبي: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٤ / ٤٩٢.

أولا: لإحالة الى القلب، ويؤيد ذلك ما ورد من أحاديث صريحة

١- عن وابصة بن معبد -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال له: «يا وابصة أخبرك أم تسألني؟» قلت: لا، بل أخبرني، فقال: «جئت تسألني عن البر والإثم» فقال: نعم، فجمع أنامله فجعل ينكت بهن في صدري، ويقول: «يا وابصة استفت قلبك، واستفت نفسك» ثلاث مرات، «البر ما اطمأنت إليه النفس، والإثم ما حاك في النفس، وتردد في الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك»^(١). فالتبني ﷺ أحال السائل إلى قلبه، وذكر له بعض الأمارات التي يستعين بها للتمييز بين البر والإثم، من اطمئنان القلب والنفس، وتردد الريبة في الصدر.

٢- وعن النواس بن سميعان الأنصاري -رضي الله عنه-، قال: سألت رسول الله ﷺ، عن البر والإثم فقال: «البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك، وكرهت أن يطلع عليه الناس»^(٢).

٣- وعن أبي ثعلبة الخشني -رضي الله عنه- قال قلت: يا رسول الله، أخبرني بما يحل لي، ويحرم علي، قال: فصعد النبي ﷺ وصب في النظر،

(١) أحمد: مسند الشاميين، حديث وابصة بن معبد الأسدي نزل الرقة، ٢٩ / ٥٢٧، رقم: ١٨٠٠١، وإسناده حسن، الألباني: صحيح الترغيب والترهيب، ٢ / ٣٢٣، رقم: ١٧٣٤.

(٢) مسلم: صحيح مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تفسير البر والإثم، ٤ / ١٩٨٠، رقم: ٢٥٥٥٣.

الباطن، سواء تردد أو حاك في صدره، لعلمه بالحال في الباطن، أو لشكه فيه، أو لجهله به، أو لعلمه جهل المفتي أو محاباته في فتواه أو عدم تقيده بالكتاب والسنة أو لأنه معروف بالفتوى بالحيل والرخص المخالفة للسنة وغير ذلك من الأسباب المانعة من الثقة بفتواه وسكون النفس إليها^(٣).

ثانياً: تمييز الصحيح نسبته إلى الشرع.

ذكر العلماء أن للمكة الذوقية قوة وفاعلية في التمييز بين الصحيح وغيره في ما تمت نسبته إلى الشريعة الإسلامية حتى على مستوى قبول النص ويؤيده أن النبي ﷺ قال: "إذا سمعتم الحديث عني تعرفه قلوبكم، وتلين له أشعاركم وأبشاركم، وترون أنه منكم قريب؛ فأنا أولاكم به، وإذا سمعتم الحديث عني تنكره قلوبكم، وتنفر منه أشعاركم وأبشاركم، وترون أنه منكم بعيد؛ فأنا أبعدهم منه^(٤).

وقد أرشد الحديث إلى أن النبي ﷺ أحال في معرفة الحديث إلى الملكة الذوقية القائمة على طهارة القلوب وسلامة الجوارح.

ثانيهما: الاعتماد على الحس الذوقي للقلب في استصحاب الحلال واستنكار المشبوه والحرام: «أي: حتى وإن أفتاك مفت بآن هذا جائز، ولكن نفسك لم تطمئن ولم تشرح إليه فدعه، فإن هذا من الخير والبر، إلا إذا علمت في نفسك مرضاً من الوسواس والشك والتردد فلا تلتفت لهذا، والنبي ﷺ إنما يخاطب الناس أو يتكلم على الوجه الذي ليس في قلب صاحبه مرض^(١).

وهنا يقول ابن القيم: «لا يجوز العمل بمجرد فتوى المفتي إذا لم تطمئن نفسه، وحاك في صدره من قبوله، وتردد فيها؛ لقوله ﷺ: «استفتت نفسك وإن أفتاك الناس وأفتوك» فيجب عليه أن يستفتي نفسه أولاً، ولا تخلصه فتوى المفتي من الله إذا كان يعلم أن الأمر في الباطن بخلاف ما أفتاه، كما لا ينفعه قضاء القاضي له بذلك، كما قال النبي ﷺ: «من قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذه؛ فإنما أقطع له قطعة من نار^(٢)»، والمفتي والقاضي في هذا سواء، ولا يظن المستفتي أن مجرد فتوى الفقيه تبيح له ما سأل عنه إذا كان يعلم أن الأمر بخلافه في

(٣) ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر (ت: ٥٧٥١هـ)، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١-١٩٩١م، ٤/ ١٩٥.

(٤) أخرجه أحمد ٣/ ٤٩٧، والبخاري في التاريخ الكبير، ٥/ ٤١٥-٤١٦، وغيرهم من حديث أبي حميد وأبي أسيد مرفوعاً، قال الهيثمي في مجمع الزوائد، ١/ ١٤٩-١٥٠، «ورجاله رجال الصحيح. وقال الألباني: «حديث حسن». السلسلة الصحيحة (٢/ ٣٦٠)، رقم: ٧٣٢.

(١) العثيمين: محمد بن صالح (ت: ١٤٢١هـ)، شرح رياض الصالحين، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: ١٤٢٦هـ، ٣/ ٤٩٩.

(٢) البخاري: صحيح البخاري، كتاب: الحيل، باب: إذا غصب جارية فزعم أنها ماتت، ففضي بقيمة الجارية الميتة، ثم وجدها صاحبها فهي له، ويرد القيمة ولا تكون القيمة ثمناً، ٩/ ٢٥، رقم: ٦٩٦٧.

وهذا التوجيه النبوي في اعمال الملكة الذوقية قد خصه بعض المتأخرين بجيل مخصوص وزمن مخصوص كالألباني حيث قال : «الخطاب خاص بالصحابة وأهل العلم بالحديث ونقاده ممن هم مثلهم في صفاء القلوب، وطهارة النفوس، والمعرفة بسيرته ﷺ»^(١).

وتعرض السندي لمحاكاة هذا النص وبيان المراد منه والطرق المنضبطة لمعرفة ذلك فعبر بأن المقصود بقوله: «تعرفه قلوبكم»، أي: يقبله القلب، ولا يلحق به الوحشة للنفس، وهذا إما بالعرض على أصول الدين المعلومة، فإذا لم يكن مخالفاً يقبله القلب، أو بمعرفة رجال الإسناد، فإنهم إذا كانوا ثقاتاً أثباتاً يتسارع القلب إلى القبول، ويحتمل أن يكون هذا الحديث من قبيل «استفت قلبك، البر ما اطمأنت إليه النفس،...، وإن أفتاك الناس وأفتوك».. وهذا محمول على الأمر المشتبه، وإلا فما ثبت الأمر به في الشرع بلا معارض فهو برّ، وما ثبت النهي عنه كذلك فهو إثم، والمراد أن قلب المؤمن ينظر بنور الله إذا كان قوي الإيمان... وهذا يقتضي أنه ينبغي الرجوع إلى الأصول المعلومة الثابتة من الدين فيما اشتبه من الحديث، والله تعالى أعلم^(٢).

المطلب الثاني: حكم العمل بالملكة الذوقية
اختلف الفقهاء في حكم العمل بمقتضى الملكة الذوقية، واختلفوا في تفسير ما يستفتى به وتناولت ذلك في فرعين :

الفرع الأول: حكم العمل بالملكة الذوقية وموقف الفقهاء منها
اختلف أهل العلم في الإحالة إلى الملكة الذوقية في الفصل بين الأحكام على وجهتين ومحل الخلاف الذي بنى عليه الفقهاء آراءهم هو حديث وابصة بن معبد رضي الله عنه .

الوجهة الأولى: منع الإحالة إلى الملكة الذوقية مطلقاً، وما جاء في حديث وابصة خاص به لا يتناول ما أشببهه ، لما توفر فيه من أسباب مكنته من ذلك وعليه: فإن الحكم لا يتعداه لغيره؛ ويكون الحديث حينئذ في واقعة عين لا عموم لها؛ وهي وجهة نظر الغزالي إذ قال: «ولذلك لم يرد عليه السلام كل أحد إلى فتوى القلب، وإنما قال ذلك لوابصة لما كان قد عرف من حاله»^(٣)

والذي يبدو للباحث أن الغزالي انطلق الى هذا القول من مناح أصولية بحثة تضمن عدم العبث فيما وصل الى الامة من تشريع أو تقعيد أو تفرير وذلك لأسباب أهمها :

١ - حمل الحديث على أنه واقعة عين مستندا في ذلك الى أسباب ورود الحديث

(٣) الغزالي: محمد بن محمد (ت: ٥٥٠٥هـ)، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، ١١٧/ ٢.

(١) الألباني: حاشية الجامع الصحيح رقم: ٢ من صحيح الجامع، ١/ ١٦٦، رقم: ٦١٢.

(٢) السندي، أبو الحسن نور الدين محمد بن عبد الهادي، حاشية مسند الإمام أحمد بن حنبل، اعتنى به: نور الدين طالب، نشر: دار النوادر، بيروت، ط ١، ١٤٢٨هـ، ١٩٧/٩-١٩٨.

٢- عدم جريان قاعدة (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب) لعدم وجود مسوغاتها .
٣- اغلاق الباب أمام المتقولين في الشرع سدا للذريعة وحفاظا على التشريع .

المسألة الثانية: حقيقة الاستفتاء القلبي
اختلف الفقهاء في بيان حقيقة الاستفتاء القلبي على ثلاثة أقول :
القول الأول : أن الاستفتاء القلبي في المسائل التي لم يرد فيها الدليل، فإذا واجه المسلم أمرا مشتبهاً، ولم يجد فيه قولاً لأحد إلا مَنْ لا يوثق بعلمه أو دينه، أخذ به، قال ابن رجب: «وأما ما ليس فيه نص من الله ورسوله -صلى الله عليه وآله وسلم- ولا عمن يقتدى بقوله من الصحابة وسلف الأمة، فإذا وقع في نفس المؤمن المطمئن قلبه بالإيمان، المنشرح صدره بنور المعرفة واليقين منه شيء، وحاك في صدره لشبهة موجودة، ولم يجد من يفتي فيه بالرخصة إلا من يخبر عن رأيه وهو ممن لا يوثق بعلمه وبدينه، بل هو معروف باتباع الهوى، فهنا يرجع المؤمن إلى ما حاك في صدره، وإن أفتاه هؤلاء المفتون»^(٢).

ويبدو للباحث أن القاري استعمل عبارة (قيل) المشعرة بالتضعيف ، ولكن اعتبار الملكة الذوقية حكماً يستند إليه يبقى مرتبطاً بالضوابط والمعايير وهذا من باب الانصاف والاعتدال بما ورد في حديث وابصة فعلى علو قدره رضي الله عنه وما خصه به النبي ﷺ لا يعني أو لا يلزم عدم توافر مثل هذه الصفة أو دونها بفارق الصحة مثلاً أن تتوافر في اجيال الخيرية الأولى من فقهاء الصحابة والتابعين ومن بعدهم وقد شهدت كتب التراجم مثل هذه الصفة في عشرات العلماء ان لم ينقل

المئات.

وقال التوربشتي: «وهذا القول وإن كان غير مستبعد، فإن القول بحمله على العموم فيمن يجمعهم كلمة التقوى، وتحيط بهم دائرة الدين أحق وأهدى»^(٣).
القول الثاني : الاستفتاء في المفاضلة بين الحسن والأحسن، فتكون الإحالة إلى القلب هو في إطار المحافظة على القلب في اختيار الصالح

(٢) ابن رجب: جامع العلوم والحكم، ٢ / ١٠٣ .

(٣) التوربشتي: فضل الله بن حسن (ت: ٦٦١ هـ) الميسر

في شرح مصابيح السنة، تحقيق: عبد الحميد هندأوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة: الثانية، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

(١) القاري: مرقاة المفاتيح، ٥ / ١٩٠١ .

الدكتور عمر شاعر الكبسي || ١٧٣

٢- وقال ابن رجب: «فأما ما كان مع المفتي به دليل شرعي، فالواجب على المستفتي الرجوع إليه، وإن لم ينشرح له صدره، وهذا كالرخصة الشرعية، مثل: الفطر في السفر، والمرض، وقصر الصلاة في السفر، ونحو ذلك مما لا ينشرح به صدور كثير من الجهال، فهذا لا عبرة به»^(٣).

٣- وقال العباد: «الذي اختلف فيه الإنسان يرجع إلى أهل العلم ممن يثق بعلمه ودينه في أمر يعمل به، فإذا أرشده من يثق بعلمه ودينه أخذ به»^(٤).

ومن المعاصرين ما قاله ابن عثيمين: «الإثم ما حاك في نفسك» أي تردد وصرت منه في قلق «وكرهت أن يطلع عليه الناس» لأنه محل ذم وعيب، فتجدك مترددا فيه وتكره أن يطلع الناس عليك وهذه الجملة إنما هي لمن كان قلبه صافيا سليما، فهذا هو الذي يحوك في نفسه ما كان إثما ويكره أن يطلع عليه الناس، أما المتمردون الخارجون عن طاعة الله الذين قست قلوبهم فهؤلاء لا يباليون، بل ربما يتبجحون بفعل المنكر والإثم، فالكلام هنا ليس عاما لكل أحد بل هو خاص لمن كان قلبه سليما طاهرا نقيًا؛ فإنه إذا هم بإثم وإن لم يعلم أنه إثم من قبل الشرع تجده مترددا يكره أن يطلع الناس عليه، وهذا ضابط وليس بقاعدة، أي علامة على الإثم في قلب المؤمن»^(٥).

تحقيقا لمعنى المملكة الذوقية، قال العباد: «وأما استفتاء القلب فالمقصود بذلك: أن الإنسان إذا كان سأل عن شيء وأخبر بأنه حلال، وكان في نفسه شيء منه، أو غير مطمئن إليه، أو أنه يعلم في هذا الأمر الخاص به ما يجعله غير مطمئن، فإن السلامة في ذلك أن يترك هذا الشيء الذي هو غير مطمئن إليه»^(١).

القول الثالث: الاستفتاء فيما لا يقبل الريبة

الاستفتاء لا يصار إليه إذا كان الحكم قطعيا ويسنده الدليل، لأنه من قبيل الهوى والنفس، فما ورد النص به فليس للمؤمن إلا طاعة الله ورسوله، قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]. وهذا ما أيدته نصوص العلماء القدماء والمعاصرين فمن القدماء

١- قال ابن كثير: «وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشيء فليس لأحد مخالفته، ولا اختيار لأحد هنا، ولا رأي ولا قول، كما قال تبارك وتعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]»^(٢).

(١) العباد: عبد المحسن بن حمد البدر، شرح الأربعين النووية، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، ١٣/ ١٢.

(٢) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ٦/ ٣٧٧.

(٣) ابن رجب: جامع العلوم والحكم، ٢/ ١٠٢.

(٤) العباد: شرح الأربعين النووية، ١٣/ ١٢.

(٥) العثيمين: شرح الأربعين النووية، دار الثريا للنشر، ١

قال: فإن ذلك ملاك الفقه^(٢).

٣- وعرفها محمد رأفت بأنها: «القدرة على النظر في الأدلة، وكيفية استنباط الأحكام منها، حتى لا تكاد تعرض عليه حادثة من الحوادث إلا أمكن أن يعطيها ما يليق بها من الأحكام، فضلاً عن أنه بعد ذلك تطمئن نفسه إلى ما يعمل به من أحكام أو يفتي به غيره، أو يقضي به بين الناس، إذ لا يقدم على ذلك إلا وهو يعلم الدليل على ما أقدم عليه»^(٣)

٤- وعرفها عثمان شبير بأنها: صفة راسخة في النفس، تحقق الفهم لمقاصد الكلام الذي يسهم في التمكّن من إعطاء الحكم الشرعي للقضية المطروحة، إما برده إلى مظانه في مخزون الفقه، أو بالاستنباط من الأدلة الشرعية أو القواعد الكلية^(٤).

وبناء على ما تقدم يظهر للباحث أن الفقهاء القدماء والمعاصرين في تعريفاتهم يظهرون ان المملكة الذوقية ليست فقط معرفة شمولية تتعلق بالتراكم المعرفي والعلمي، وإنما هي صبغة ذوقية تجمع بين القرب الرباني والاجتهاد المعرفي تمكن صاحبها من الاختيار بما يمتاز به من سلامة القلب

(٢) المرادوي: علي بن سليمان (ت: ٥٨٨٥هـ)، التعبير شرح التحرير، تحقيق: عبد الرحمن الجبرين، وآخرين، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ٨/ ٣٨٧٠.

(٣) محمد رأفت عثمان وآخرون: بحوث في الفقه

المقارن، ص ٢٢.

(٤) عثمان شبير، تكوين المملكة الفقهية، سلسلة كتاب الأمة، العدد ٧٢، رجب ١٤٢٠هـ، ص ٥٨.

المبحث الثالث

المملكة الفقهية وصلتها بالذوق المعرفي

تناول الفقهاء في اجتهادهم جانب المملكة عند الاستنباط والحكم على الأسانيد، واصطاح الفقهاء على تسميتها بالمملكة الفقهية، وفي هذا المبحث نتناول معنى المملكة الفقهية وعلاقتها بالذوق، في المطالب الآتية:

• المطلب الأول: مفهوم المملكة الفقهية

المملكة الفقهية مصطلح يتداوله الفقهاء، ويعنون به؛ قدرة الفقيه على الاستنباط والترجيح ومعرفة العلل والمقاصد، بما توافر له من دراية ودربة علمية وخبرة تراكمية.

وقد عرف العلماء المملكة الفقهية بتعاريف متعددة:

١- فعرّفها الزركشي: بأنها القدرة التي من خلالها يمكن استنتاج الأحكام من مأخذها^(١)،

٢- وقال المرادوي: «قوة يقتدر بها على التصرف بالجمع والتفريق والترتيب والتصحيح والإفساد، ثم

٢٦٨/

(١) ينظر: الزركشي: بدر الدين محمد بن عبد الله (ت:

٥٧٩٤هـ)، البحر المحيط، دار الكتبي، الطبعة: الأولى،

١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، ٨/ ٢٢٨.

الفقهية، التي تؤهل صاحبها بناء معرفيا على ما اكتسبه من علم وتقوى، للبت في الأمر المتنازع فيه، ففي مذهب الحنفية عرف الاستحسان ١- بأنه: «دليل ينقدح في نفس المجتهد لا تساعده العبارة، ولا يقدر على إبرازه وإظهاره»^(٢).
٢- وعرفه أبو الحسن الكرخي من الحنفية بقوله: «هو العدول عن حكم في مسألة بمثل حكمه في نظائرها إلى خلافه لوجه أقوى منه»^(٣).

ومن مذهب المالكية

عرفه ابن العربي بأنه: «إيثار ترك مقتضى الدليل، والترخيص على طريق الاستثناء لمعارضة ما يعارض به في بعض مقتضياته»^(٤).

(٢) الطوفي: شرح مختصر الروضة، ٣/ ١٩٠، والإسنوي: نهاية السؤل شرح منهاج الوصول، ١/ ٣٦٦، وخلاف: مصادر التشريع الإسلامي، ١/ ٥٨.

(٣) البزدوي، علاء الدين عبد العزيز بن أحمد البخاري، كشف الأسرار تحقيق: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، ٤/ ٤، الأرموي: سراج الدين محمود بن أبي بكر (ت: ٥٦٨٢هـ)، التحصيل من المحصول، تحقيق: عبد الحميد علي أبو زنيد، رسالة دكتوراه، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ٢/ ٣١٨.

(٤) ابن العربي: القاضي محمد بن عبد الله المعافري الإشبيلي المالكي (ت: ٥٥٤٣هـ)، المحصول، تحقيق: حسين علي البدري، سعيد فودة، دار البيارق، عمان، ط ١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ١/ ١٣٢، والشاطبي: الموافقات، ٥/ ١٩٤.

ونقاء الروح وآليات العلم.

• المطلب الثاني: العلاقة بين المملكة الذوقية والاستحسان

عبر الفقهاء عن المملكة الذوقية وتعاملوا بموجبها، وأول من تداول التعبير عنها بمصطلح فقهي هم الحنفية إذ عبروا عنه بالاستحسان، وفي هذا المطلب نتناول العلاقة بين المملكة الذوقية والفقه، عبر الفروع الآتية:

الفرع الأول: المعنى العام للاستحسان

الاستحسان مأخوذ من الحسن وهو ضد القبح، واستحسن الشيء أي عدّه حسنا^(١)، وتبدو العلاقة من حيث تسميتها أن الاستحسان ضرب من التذوق، الذي قد يكون أثرا عن رغبة وشهوة، وهذا الارتباط اللغوي بين الاستحسان والتذوق هو الذي جعل التعريف تحت وصفين.

الفرع الثاني: التعريف الخاص للاستحسان وعلاقته بالمملكة الذوقية

من تتبع التعاريف التي تناولت دليل الاستحسان تصل إلى نتيجة، مفادها عدم وضوح الرؤية الكاملة لآلية العمل بدليل الاستحسان، لذلك وافق من وافق وعارض من عارض فكانت التعاريف على نوعين:

الأول: تعريف الاستحسان بالوصف الذوقي

عرف بعض الفقهاء الاستحسان بمعنى المملكة

(١) الأزدي: جمهرة اللغة، ١/ ٥٣٥، وابن فارس: مجمل

لا يركنون إلى تعبير الاستحسان أو الملكة الذوقية، فتغير شكل التعريف لكنه ظل في نطاق التعبير عن الملكة الذوقية.

الثاني: تعريف الاستحسان بالوصف التخصصي تعبير الحنفية عن الملكة الذوقية بمصطلح الاستحسان، له صلة بما يتداوله بعض علماء الكلام من التحسين العقلي، ولذلك اعترض ليفي من الفقهاء يتقدمهم الشافعي وابن حزم الظاهري على ذلك بدعوى أن ذلك من قبيل الهوى والتشهي، وقد اشتهرت عبارات الشافعي في النكير على دليل الاستحسان، ولعل من أبرزها عبارته الشهيرة في ذلك قوله: «من استحسن فقد شرع»^(٥).

وفي موضع آخر من كتاب الرسالة قال: «الاستحسان تلذذ»^(٦). وعلل ذلك بقوله: «والاجتهاد لا يكون إلا على مطلوب، والمطلوب لا يكون أبداً إلا على عين قائمة، تُطلب بدلالة يُقصد بها إليها، أو تشبيه على عين قائمة، وهذا يبين أن حراماً على أحد أن يقول بالاستحسان إذا خالف الاستحسان الخبير»^(٧). وقال ابن حزم: «الحق حق وإن استقبحه الناس، والباطل باطل وإن استحسنه الناس، فصح أن الاستحسان شهوة واتباع للهوى وضلال، وبالله تعالى نعوذ من الخذلان»، وقال أيضاً: «من المحال

ومن مذهب الشافعية

١- عرفه الشيرازي قال: هو ترك القياس بما يستحسنه الإنسان برأي نفسه من غير دليل»^(١).

٢- وذكر الغزالي أن من معاني الاستحسان هو المعنى الذوقي، فعرف الاستحسان: «أنه دليل ينقدح في نفس المجتهد لا تساعده العبارة عنه، ولا يقدر على إبرازه وإظهاره»^(٢).

ومن مذهب الحنابلة عرفه القاضي أبو يعلى بقوله: «ترك الحكم إلى حكم هو أولى منه»^(٣).

والذي يظهر للباحث أن كل هذه التعاريف تنفق على ترك الدليل لسبب يقتضي الترك، ومبنى هذا الترك هو الملكة الذوقية التي اصطلح الحنفية على تسميتها بالاستحسان

وقد أوجز الشاطبي تعريفه بأن سبب الترك هو المصلحة فقال: «الاستحسان هو الأخذ بمصلحة جزئية في مقابل دليل كلي»^(٤).

وليست العلة في الدليل الكلي أو الجزئي، وإنما مبناه أن الفقيه قد يلجأ إلى هذا بناء على ملكته الذوقية، ومن ثم فقد أدرك بعض الفقهاء، أن الناس

(١) الشيرازي: إبراهيم بن علي بن يوسف (ت: ٤٧٦هـ)، التبصرة، تحقيق: محمد حسن هيتو، دار الفكر، دمشق، ٤٩٢/ ١، ٥١٤٠٣.

(٢) ينظر: ابن قدامة المقدسي، روضة الناظر وجنة المناظر، ٤٧٢/ ١، وابن النجار: شرح الكوكب المنير، ٤٣١/ ٤.

(٣) أبو يعلى: العدة، ٥/ ١٦٠٧، وآل تيمية: المسودة، ١/ ٤٥٢/.

(٤) الشاطبي: الموافقات، ٥/ ١٩٤.

(٥) الغزالي: المستصفى، ١/ ٢٧٤، الإسنوي: نهاية السؤل

شرح منهاج الوصول، ١/ ٣٦٥.

(٦) الشافعي: الرسالة، باب الاستحسان، ١/ ٥٠٧.

(٧) المصدر نفسه، ١/ ٥٠٧.

الوجه الأول: أن المملكة الذوقية ليست اجتهدا عاما في أقضية تنازعها أدلة الحل والحرمة، وإنما هو محض معرفة علمية وهداية نورانية، قال تعالى: ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾ [يونس: من الآية ٩]، يقدمها العارفون لمن يستنصحهم في اختيار وجهة أو مذهب، ولذا قال الإمام مالك: «تسعة أعشار العلم الاستحسان»^(٦) وربما بالغ بعضهم حتى عده عماد العلم، وأن الذي لا يستحسن يكاد أن يفارق السنة^(٧).

الوجه الثاني: الخلاف في مسمى الاستحسان وما يعبر عن المملكة الذوقية، هو اختلاف بسبب نوع اللفظ وحسب، أما الاستحسان على المعنى المختار، وهو: العدول في مسألة عن مثل ما حكم به في نظائرها إلى خلافه بوجه هو أقوى، فقد اتفق العلماء على قبوله، وإنما الخلاف في تسميته استحساناً، قال الغزالي بعدما ذكر هذا التعريف للاستحسان: «وهذا مما لا ينكر، وإنما يرجع الاستنكار إلى اللفظ وتخصيص هذا النوع من الدليل بتسميته استحساناً من بين سائر الأدلة»^(٨).

فالخلاف إذاً لفظي، قال الزركشي: «نبه ابن السمعاني على أن الخلاف بيننا وبينهم لفظي؛ فإن تفسير الاستحسان بما يشنع عليهم لا يقولون به،

أن يكون الحق فيما استحسنا دون برهان؛ لأنه لو كان ذلك لكان الله تعالى يكلفنا ما لا نطيق، ولبطلت الحقائق»^(١).

وربما ألبأ ذلك بعض الفقهاء من بعد إلى إيجاد وصف تخصصي يعبرون به عن المملكة الذوقية بعيدا عما قد يساء فهمه :

١- تعريف الكرخي الطوفي الاستحسان هو: العدول بحكم المسألة عن نظائرها بدليل خاص من القرآن أو السنة، وهذا هو^(٢).

٢- أو: «هو العدول في مسألة عن مثل ما حكم به في نظائرها إلى خلافه بوجه هو أقوى»^(٣)،

وهذا من أكثر ما اتفق عليه الفقهاء؛ لأنه يشمل كل أنواعه^(٤)، فقال الغزالي عن هذا التعريف: «وهذا مما لا ينكر»^(٥).

الفرع الثالث: الاستعمال الفقهي للمملكة الذوقية بعد بيان تعريف الاستحسان وموقف المدارس الفقهية منه، يترجح لنا أن المملكة الذوقية وما عبر عنه الحنفية بالاستحسان، ليس ضرباً من التلذذ أو التشهي المبني على الرغبة والهوى، من وجوه أهمها:

(١) ابن حزم: الإحكام في أصول الأحكام، ٦ / ١٧.

(٢) ينظر: ابن قدامة: روضة الناظر وجنة المناظر ١ / ٤٧٢، وابن النجار: شرح الكوكب المنير، ٤ / ٤٣١.

(٣) التفتازاني: شرح التلويح على التوضيح، ٢ / ١٦٣، وينظر: الجصاص: الفصول في الأصول، ٤ / ٢٣٤.

(٤) ينظر: أبو زهرة: محمد، أصول الفقه، ١ / ٢٣٢.

(٥) الغزالي: المستصفى، ١ / ١٧٣.

(٦) الشاطبي: الموافقات، ٥ / ١٩٨.

(٧) ينظر: الباحثين: يعقوب، رفع الحرج في الشريعة الإسلامية، ١ / ٢٧٧.

(٨) الغزالي: المستصفى، ١ / ١٧٣.

والذي يقولون به إنه العدول في الحكم من دليل

إلى دليل هو أقوى منه، فهذا مما لم ينكره، لكن هذا الاسم لا نعرفه اسماً لما يقال به بمثل هذا الدليل، وقريب منه قول القفال^(١).

وقد ألمح الشوكاني إلى ذلك فقال: «إن كان المراد بالاستحسان: ما دلت عليه الأصول بمعانيها فهو حسن لقيام الحجة به، وهذا لا ننكره ونقول به، وإذا كان ما يقع في الوهم من استقباح الشيء واستحسانه من غير حجة فهو محذور، والقول به غير سائغ^(٢)». ولذا قال كثير من الفقهاء: «إن المخالفين لا ينكرون على أبي حنيفة الاستحسان بالأثر أو بالإجماع أو بالضرورة؛ لأن ترك القياس بهذه الدلائل مستحسن بالاتفاق، وإنما أنكروا عليه الاستحسان بالرأي، فإنه ترك للقياس بالتشهي^(٣)».

١- «وقد كان من حكام الآفاق من يستحلف على المصحف، وذلك عندي حسن^(٤)». ٢- سئل عن العمرة في أشهر الحج فقال: «حسنة أستحسنها وهي أحب منها بعد الحج، لقول الله: ﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٦]، ولقول رسول ﷺ: «دخلت العمرة في الحج^(٥)». ٣- وفي وضع المؤذن أصبعيه في أذنيه حال الأذان، قال: «وحسن أن يضع أصبعيه في أذنيه^(٦)». ٤- وقال في دفع زكاة الفطر قبل العيد بيومين: «هذا حسن وأستحسنه لمن فعل، وأستحسن في خيار الشفعة أن تكون ثلاثة أيام^(٧)». وهذا ان دل على شيء فانما يدل على أمرين: الأول: أن الخلاف في الاستحسان خلاف لفظي

الوجه الثالث: النماذج الفقهية للملكة الذوقية

قد استعمل الشافعية وغيرهم عبارات مبدأ الملكة الذوقية، وبمعنى الاستحسان في مواقع كثيرة من فقههم لكنها بصيغ أخرى فيقولون: يعجبني ولا يعجبني، وكقولهم: أحب ولا أحب، وكقولهم: أكره ولا أكره، وغيره ما يعبر به عن الملكة الذوقية. وهذا الاستعمال دليل الاستحسان بما يعبر عن سياقات الملكة الذوقية في كثير من مفردات فقهه، ومن

(٤) ينظر البيهقي: معرفة السنن والآثار، تحقيق: سيد كسروي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٦/٧، ٤١٦، وابن حجر: أحمد بن محمد الهيتمي، تحفة المحتاج في شرح المنهاج، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ثم دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٥٧هـ - ١٩٨٣م، ٢٠/٢٠٠.

(٥) الشافعي: الأم، ٢٦٨/٧، قوله ﷺ: «دخلت العمرة في الحج»، رواه مسلم: صحيح مسلم، كتاب: الحج، باب: حجة النبي ﷺ، ٢/٨٨٦، رقم: ١٢١٨.

(٦) الماوردي: الحاوي الكبير، ٤٥/٢، الزركشي: البحر المحيط، ٣٩٥/٤، الأمدي: الإحكام في أصول الأحكام، ٤/١٥٧.

(٧) الشافعي: الأم، باب زكاة الفطر، ٧/٢٧٣.

(١) () الزركشي: البحر المحيط، ٨/٩٩.

(٢) الشوكاني: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، ٢/١٨٣.

(٣) البزدوي: كشف الأسرار، ٤/٥.

ولذلك قال التابعي الربيع بن خثيم^(٢): «إن من الحديث حديثاً له ضوء كضوء النهار نعرفه به، وإن من الحديث حديثاً له ظلمة كظلمة الليل نعرفه بها»^(٣).

يقول ابن القيم: «ومعرفة هذا الشأن وعلله، ذوق ونور يقذفه الله في القلب يقطع به من ذاقه ولا يشك فيه، ومن ليس له هذا الذوق لا شعور له به، وهذا كنفق الدراهم لأربابه فيه ذوق ومعرفة ليستا لكبار العلماء»^(٤).

وقد عزز هذا التوجه قول عبدالرحمن بن مهدي^(٥)،

تلك الشبه ورد عليها، عبدالكريم محمد جراد، السبر عند المحدثين، ١/ ٦٨.

(٢) الربيع بن خثيم الثوري أبو يزيد الكوفي، ثقة عابد، قال ابن مسعود: لو رآك رسول الله لأحبك، مات سنة إحدى و قيل ثلاث وستين، ينظر: ابن حجر: أحمد بن علي العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، تقريب التهذيب، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد، سورية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ١/ ٢٠٦.

(٣) ابن سعد: محمد بن سعد، البصري، البغدادي (ت: ٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ٦/ ٢٢٢.

(٤) ابن القيم: الفروسية، تحقيق: مشهور بن حسن، دار الأندلس، السعودية، حائل، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، ١/ ٢٣٥.

(٥) عبد الرحمن بن مهدي بن حسان العنبري، البصري، اللؤلؤي، (١٣٥هـ - ١٩٨هـ)، من كبار حفاظ الحديث، وله مصنفات فيه، ينظر: الزركلي: الأعلام، ٣/ ٣٣٩.

واصطلاحه وليس خلافاً معنويًا ولا مشاحة في الاصطلاحات

الثاني: وجود التطبيقات الفقهية التي كان للملكة الذوقية الأثر في تغير الحكم على الأشياء اثباتاً أو نفيًا.

• المطلب الثالث: العلاقة بين الملكة الذوقية وعلم الحديث

علم الحديث علم واسع يتعلق بنوعين من الدراسة، الأول: علم السند الذي يتعلق برواة الحديث من الرجال وما يتصل بذلك من جرح وتعديل، والثاني: دراسة المتن وما يتصل به من دراسة معانيه وسلامته من التعارض، بما يحقق نسبته إلى النبي ﷺ.

ونجلي موضوع الملكة الذوقية في علم الحديث بصورة أوضح، لما للحديث من أنوار تضيء القلوب بما يلهم صاحبها أحياناً، بصحة الحديث وإن لم يطلع على السند.

وفي هذا المطلب نتناول الصلة بين الملكة الذوقية عند المحدثين، وجانباً من أحكامها وذلك عبر الفروع الآتية:

الفرع الأول: الصلة بين الملكة الذوقية ودراسة الحديث في الصناعة الحديثية كان للملكة الذوقية الناشئة، الالتزام التطوعي والدراية العلمية والتراكم المعرفي، أثر كبير في التمييز بين الصحيح والسقيم، وتجويد بعض الأحاديث وصيانتها من التضعيف^(١).

(١) وقد انتقد بعض المستشرقين ذلك وعده نوعاً من التخرص والتشهي في الحكم على الأحاديث، وقد أورد

ويقول ابن كثير: «وهو فن خفي على كثير من علماء الحديث، حتى قال بعض حفاظهم: معرفتنا بهذا كهانة عند الجاهل، وإنما يهتدي إلى تحقيق هذا الفن الجهابذة النقاد منهم، يميزون بين صحيح الحديث وسقيمه، ومُعوجه ومستقيمه، كما يميز الصيرفي البصير بصناعته بين الجياد والسيوف، والدنانير والفلوس، فكما لا يتمارى هذا، كذلك يقطع ذاك بما ذكرناه، ومنهم من يظن، ومنهم من يقف، بحسب مراتب علومهم وحذقهم واطلاعهم على طرق الحديث، وذوقهم حلاوة عبارة الرسول ﷺ التي لا يشبهها غيرها من ألفاظ الناس، فمن الأحاديث المروية ما عليه أنوار النبوة، ومنها ما وقع فيه تغيير لفظ أو زيادة باطلة أو مجازفة أو نحو ذلك يدركها البصير من أهل هذه الصناعة»^(٥).

وقال السخاوي في معرض كلامه عن العلل الخفية: «هذا النوع من أغمض الأنواع وأدقها، ولذا لم يتكلم فيه كما سلف إلا الجهابذة أهل الحفظ والخبرة والفهم الثاقب مثل ابن المديني، وأحمد، والبخاري، ويعقوب بن شيبه، وأبي حاتم، وأبي زرعة، والدارقطني»^(٦).

(٥) ابن كثير: إسماعيل بن عمر القرشي البصري الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ) اختصار علوم الحديث، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الثانية، ١/ ٦٣-٦٤.

(٦) السخاوي: فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي، تحقيق: علي حسين علي، مكتبة السنة، مصر، الطبعة:

حيث اعتبر ذلك إلهاماً لا تعرف أسرارها، فقال: إن معرفة الحديث إلهام، قال ابن نمير^(١): صدق! لو قلت له: من أين قلت؟ لم يكن له جواب^(٢). وللتعبير عن هيمنة الملكة الذوقية على ألبابهم وقلوبهم، قال أبو حاتم الرازي: «مثل معرفة الحديث كمثل فص ثمنه مئة دينار، وآخر مثله على لونه ثمنه عشرة دراهم»^(٣).

وبوّب الخطيب لذلك بقوله: «إن المعرفة بالحديث ليست تلقينا، وإنما هو علم يحدثه الله في القلب، أشبه الأشياء بعلم الحديث معرفة الصرف ونقد الدنانير والدراهم، فإنه لا يعرف جودة الدينار والدراهم بلون ولا مس ولا طراوة... وإنما يعرفه الناقد عند المعاينة فيعرف البهرج والزائف والخالص والمغشوش وكذلك تمييز الحديث فإنه علم يخلقه الله تعالى في القلوب، بعد طول الممارسة له والاعتناء به»^(٤).

(١) محمد بن عبد الله بن نمير، الهمداني، الخارفي، من الحفاظ، روى له البخاري ومسلم. ينظر: البخاري: التاريخ الكبير، ١/ ١٤٤.

(٢) ابن أبي حاتم: عبد الرحمن بن محمد، الرازي (ت: ٣٢٧هـ)، العلل لابن أبي حاتم، تحقيق: فريق من الباحثين، مطابع الحميضي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، ٥/ ٦٧٥.

(٣) المصدر نفسه، ١/ ٢٤.

(٤) الخطيب البغدادي: أحمد بن علي (ت: ٤٦٣هـ) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق: محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، ٢/ ٢٥٥.

الصناعة الحديثية: هذا إسناد ضعيف خالد بن عمرو قال أحمد وابن معين: أحاديثه موضوعة، وقال البخاري وأبو زرعة: منكر الحديث^(٣).

وقال ابن حبان: «كان ينفرد عن الثقات بالموضوعات لا يحل الاحتجاج به بخبره. ثم غفل فذكره في «الثقات» وضعفه أبو داود والنسائي وقال ابن عدي: عامة أحاديثه أو كلها موضوعة، قلت وأورد له العقيلي هذا الحديث بهذا الإسناد وقال: ليس له أصل من حديث الثوري انتهى، وأورده ابن الجوزي في «العلل المتناهية» من طريق خالد بن عمرو وضعف الحديث به، وقال النووي عقب هذا الحديث: رواه ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنة وقال الحافظ عبد العظيم المنذري في كتاب الزهد من «الترغيب»: وقد حسن بعض مشايخنا إسناده وفيه بُعد لأنه من رواية خالد بن عمرو وقد ترك واتهم ولم أر من وثقه^(٤).

ثم قال: «لكن على هذا الحديث لامعة من أنوار النبوة لا يمنع كون راويه ضعيفا أن يكون النبي ﷺ قاله وقد تابعه عليه محمد بن كثير الصنعاني عن سفيان، ومحمد هذا قد وثق على ضعفه، وهو

ومما مضى من أقوال العلماء الأعلام في علم الحديث، فلا أشك أن أصول التصحيح والتضعيف ظنية، ومنها ما هو مداره على ذوق المحدث والمجتهد، فلا لوم على محدث ومجتهد يخالف غيره من المحدثين والمجتهدين، ألا ترى مسلما قد خالف البخاري في بعض الأصول. قال ابن مهدي: «هي إلهام، لو قلت للقيم بالعلل: من أين لك هذا؟ لم تكن له حجة، يعني يعبر بها غالبا، وإلا ففي نفسه حجج للقول وللدفع^(١)».

الفرع الثاني: أثر الملكة الذوقية في التعامل مع الحديث وتطبيقه

وقد بدا لبعض العلماء من أهل الحديث أن يحكم ملكته الذوقية، في صيانة الحديث من الوهن بالرغم من نقده وفق الصناعة الحديثية، فعن سهل بن سعد الساعدي، قال: أتى النبي ﷺ رجل، فقال: يا رسول الله دلني على عمل إذا أنا عملته أحبني الله وأحبني الناس؟ فقال رسول الله ﷺ: «ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس^(٢)».

قال علماء الحديث في الحكم على السند وفق

الأولى، ٥١٤٢٤ - ٢٠٠٣م، ١/ ٢٨٨.

(١) المصدر نفسه، ١/ ٢٨٨.

(٢) ابن ماجه: سنن ابن ماجه، كتاب: الزهد، باب: الزهد في الدنيا، ١٣٧٣/ ٢، رقم: ٤١٠٢، الطبراني: المعجم الكبير، باب: السنين، سفيان الثوري عن أبي حازم، ٦/ ١٩٣، رقم: ٥٩٧٢، والحديث صحيح، ينظر: الألباني: صحيح الجامع الصغير وزياداته، ١/ ٢٢٠، رقم: ٩١٧.

(٣) ينظر: ابن رجب: جامع العلوم والحكم، ٢/ ١٧٥.

(٤) (الكناني: أحمد بن أبي بكر البوصيري الشافعي (ت: ٥٨٤٠هـ)، مصباح الزجاجاة في زوائد ابن ماجه، تحقيق: محمد المتقي الكشناوي، دار العربية، بيروت، الطبعة: الثانية، ٥١٤٠٣هـ، ٤/ ٢١٠.

أصلح حالاً من خالد والله أعلم»^(١).

المبحث الرابع

معايير الملكة الذوقية

إذا ثبت أن النبي ﷺ قد أحال إلى القلب وسكون النفس، كمصدر من مصادر الكسب العلمي والمعرفي، فإن ذلك لا يتوفر لكل أحد، بل لابد من توافر معايير حاکمة على تلك القدرة المعرفية والملكة الذوقية، لذلك نتناول في هذا المبحث تلك المعايير من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول

السلامة من العيوب الروحية

الملكة الذوقية نتاج معرفي لسلامة القلب مع نور العلم، ومن تلوث قلبه بالذنوب والمعاصي فليس أهلاً لمحل النور، الذي تنشأ عنه الملكة الذوقية، فعن النعمان بن بشير-رضي الله عنه- لأن النبي ﷺ قال: «ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت، صلح الجسد كله، وإذا فسدت، فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»^(٣)، وفي هذا المطلب نتناول مدى تأثير هذا المعيار على الملكة الذوقية في الفروع الآتية



(٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، ٢٠/١ (٥٢)، ومسلم: صحيح مسلم، كتاب: المساقاة، باب: أخذ الحلال وترك الشبهات، ٣/١٢١٩، رقم: ١٥٩٩.

(١) المصدر نفسه، ٢١٠/٤.

(٢) الألباني: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (٥/٢٨٨)، رقم: (٢٢٦٣).

الفرع الأول: أثر الذنوب على المملكة الذوقية

حيث أراد^(٢).

من المعلوم أن الذنوب هي الآفة التي تقطع حسن التواصل بين العبد والمعبود، ولبيان خطر الذنوب أوضح رسول الله ﷺ خطرهما على القلب، عن أبي هريرة -رضي الله عنه-، أن النبي ﷺ قال: «إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء، فإذا هو نزع واستغفر وتاب سقل قلبه، وإن عاد زيد فيها حتى تعلق قلبه، وهو الران الذي ذكر الله^(١)».

الفرع الثاني: استيعاب القلوب للشهوات والفتن لا يخفى ما للشهوات من أثر في استيعاب الفتن، أو نفيها، والقلب المستنير بأنوار العلم والمعرفة بالله تعالى، لن يفتتن بما يعرض عليه، وإنما يفتتن القلب الذي اعتاد تلبية الشهوات واتباع الهوى، فعن قال حذيفة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا، فأى قلب أشربها، نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها، نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين، على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مربادا كالكوز، مججياً لا يعرف معروفاً، ولا ينكر منكراً، إلا ما أشرب من هواه^(٣)».

وهذا الحديث يدل على أن القلب محط انبعاث المملكة الذوقية وتكوينها، وتتابع الذنوب وكثرتها يحجب القلب عن معارف البصيرة، وبما يمنعه من تحسس المملكة الذوقية

قال ابن القيم: «الذنوب إذا تكاثرت: طُبع على قلب صاحبها، فكان من الغافلين، وكما قال بعض السلف في قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]، قال: هو الذنب بعد الذنب، وقال الحسن: هو الذنب على الذنب حتى يعمي القلب، حتى قال: وأصل هذا أن القلب يصدأ من المعصية، فاذا زادت: غلب الصدأ حتى يصير راناً، ثم يغلب حتى يصير طبعاً، وقفلاً، وختماً، فيصير القلب في غشاوة وغلاف، فإذا حصل له ذلك بعد الهدى والبصيرة: انتكس، فصار أعلاه أسفله، فحينئذ يتولاه عدوه، ويسوقه

ودل هذا النص إخبار النبي ﷺ أن القلب المغلف بكثرة المعاصي لن يبصر للذوق نورا، فلا يستفاد منه في تحرير حق، قال القاضي عياض: «شبه القلب الذي لا يعي خيرا بالكوز المنحرف الذي لا يثبت الماء فيه. وقال صاحب التحرير: معنى الحديث أن الرجل إذا تبع هواه وارتكب المعاصي،

(٢) ابن القيم: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، دار المعرفة، المغرب، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، ١/٦٠.

(٣) مسلم: صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً، وأنه يأرز بين المسجلين، ١٢٨/١، رقم: ٢٣١.

(١) الترمذي: سنن الترمذي، ٥/٤٣٤، رقم: ٣٣٣٤، قال الترمذي: حسن صحيح.

دخل قلبه بكل معصية يتعاطاها ظلمة، وإذا صار كذلك افتتن وزال عنه نور الإسلام، والقلب مثل الكوز فإذا انكب انصب ما فيه ولم يدخله شيء بعد ذلك^(١).

وقال ابن القيم: والفتن التي تُعرض على القلوب هي أسباب مرضها، وهي فتن الشهوات، وفتن الشبهات، فتن الغي والضلال، فتن المعاصي والبدع، فتن الظلم والجهل، فالأولى: توجب فساد القصد والإرادة، والثانية: توجب فساد العلم والاعتقاد^(٢).

وقد أشار رسول الله ﷺ إلى أثر الذنوب في حرمانها للإنسان، من بعض الاستحقاقات التكريمية، كبركة الرزق والعمر فعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ: «لا يرد القدر إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر، وإن الرجل ليحرم الرزق، بالذنوب يصيبه»^(٣).

المطلب الثاني: المملكة الذوقية والالتزام التطوعي

الفرع الأول: الصلة بين المملكة الذوقية والالتزام التطوعي

مما يتميز به أهل المملكة الذوقية سعيهم الحثيث وطلبهم المتواصل لمرضاة الله تعالى، بكل الوسائل الممكنة ومن ذلك الزيادة على ما افترض عليهم من واجبات، قال تعالى ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي

(١) النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ٢/ ١٧٣/.

(٢) ابن القيم: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١/ ١٢/.

(٣) الطبراني: المعجم الكبير، باب: الثاء، ثوبان مولى رسول الله ﷺ، ٢/ ١٠٠، رقم: ١٤٤٢، الحاكم: المستدرک على الصحيحين، ١/ ٦٧٠، رقم: ١٨١٤، قال الحاكم: «الحديث صحيح ولم يخرجاه»، وإسناده لين، والحديث حسن، الدينوري: أحمد بن مروان المالكي (ت: ٣٣٣هـ)، المجالسة وجواهر العلم، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، جمعية التربية الإسلامية، البحرين، دار ابن حزم،

بيروت، لبنان، ١٩٤١هـ، ٥/ ٨٤، رقم: ١٨٩٢.

(٤) الأبيسي: محمد بن أحمد (ت: ٨٥٢هـ)، المستطرف في كل فن مستطرف، عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٤١هـ، ١/ ٢٩.

دل الحديث على أن الله تعالى أخبر أن المقربين منه سبحانه على منزلتين: الأولى: المقربون بسبب الالتزام بما قدره الله من فروض، والثانية: المقربون بسبب السعي بالزيادة فوق الفرض، وأولئك هم من يخصصهم الله بأنوار العطاء في السمع والبصر والقلب وكل الجوارح، وهم أولياء الله جل وعلا. والالتزام بموارد الشريعة من كتاب وسنة هو الطريق الأمثل لبلوغ العطاء المعرفي، يقول الشوكاني: «المعيار الذي تعرف به صحة الولاية، هو أن يكون عاملاً بكتاب الله سبحانه وبسنة رسوله ﷺ مؤثراً لهما على كل شيء، مقدماً لهما في إصداره وإيراده، وفي كل شؤونه، فإذا زاغ عنهما زاغت عنه ولايته»^(٤).

الفرع الثاني: النور المعرفي وأثره في المملكة الذوقية
ترتكز المملكة الذوقية في تكوينها إلى ركيزتين رئيسيتين: الأولى: الالتزام الروحي، والثانية: المعرفة العلمية، ومن هاتين الركيزتين تتكون المملكة الذوقية، التي تصبغ المعرفة بالنور الإلهي الذي يعطي للمجتهد طمأنينة تمكنه من قابلية التمييز. ومما يؤيد ذلك:

١- قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾

[الحجر: ٧٥]، قال ابن العربي: «هي استدلال بالعلامة، ومن العلامات ظاهر يبدو لكل أحد، بأول

(٤) الشوكاني: محمد بن علي (ت: ١٢٥٠هـ)، ولاية الله والطريق إليها، تحقيق: إبراهيم هلال، دار الكتب الحديثة، مصر، القاهرة، ١/ ٢٦٢.

الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿[الأنبياء: من الآية ٩٠]، أي أنهم يبادرون إلى أبواب الخير كلها مفروضة كانت أو غير مفروضة^(١).

وفي الحديث القدسي عن أبي هريرة -رضي الله عنه-، قال: قال النبي -ﷺ: «يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إلي بشبر تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة»^(٢).

وقد أخبر المولى جل وعلا عن أثر ذلك القربان بتنمية البصيرة، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته»^(٣).

(١) ينظر: البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ٤/ ٥٩.

(٢) البخاري: صحيح البخاري، كتاب: التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَيَحْدَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: من الآية ٢٨]، ٩/ ١٢١، رقم: ٧٤٠٥.

(٣) البخاري: صحيح البخاري، كتاب: الرقاق، باب: التواضع، ٨/ ١٠٥، رقم: ٦٥٠٢.

هذا النوع من الفراسة: من الحياة والنور اللذين يهبهما الله تعالى لمن يشاء من عباده، فيحيا القلب بذلك ويستتير، فلا تكاد فراسته تخطئ، قال الله تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلَهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢]، كان ميتا بالكفر والجهل، فأحياه الله بالإيمان والعلم، وجعل له بالقرآن والإيمان نورا يستضيء به في الناس على قصد السبيل.

والفراسة الثانية: فراسة الرياضة، والجوع، والسهر، والتخلي، فإن النفس إذا تجردت عن العوائق صار لها من الفراسة والكشف بحسب تجردها، وهذه فراسة مشتركة بين المؤمن والكافر، ولا تدل على إيمان ولا على ولاية، وكثير من الجهال يغتر بها، وللرهبان فيها وقائع معلومة، وهي فراسة لا تكشف عن حق نافع، ولا عن طريق مستقيم، بل كشفها جزئي، من جنس فراسة الولاية، وأصحاب تعبير الرؤيا، والأطباء، ونحوهم. وللأطباء فراسة معروفة، من حذقهم في صناعتهم.

أما الفراسة الثالثة: الفراسة الخلقية، وهي التي صنف فيها الأطباء وغيرهم واستدلوا بالخلق على الخلق؛ لما بينهما من الارتباط الذي اقتضته حكمة الله، كالاستدلال بصغر الرأس الخارج عن العادة على صغر العقل، وبكبره، وبسعة الصدر، وبُعد ما بين جانبيه على سعة خلق صاحبه، واحتماله، وبسطته، وبضيقة على ضيقه، وبجمود العين وكلال

نظر، ومنها ما هو خفي فلا يبدو لكل أحد^(١).
٢- وعن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله تبارك وتعالى عبادا يعرفون الناس بالتوسم»^(٢)، قال القرطبي: «التوسم تفعل من الوسم، وهي العلامة التي يستدل بها على مطلوب غيرها، يقال: توسمت فيه الخير إذا رأيت ميسم ذلك فيه»^(٣).

وهنا ملحظ مهم أشير اليه وهو أنه يأتي التوسم في الفراسة أيضا، يقول ابن العربي: «يقال: تفرست وتوسمت، وحقيقتها الاستدلال بالخلق على الخلق، وذلك يكون بجودة القريحة، وحدة خاطر، وصفاء الفكر»^(٤).

وقال ابن القيم: «والفراسة ثلاثة أنواع:

الأولى: إيمانية... وسببها نور يقذفه الله في قلب عبده، يفرق به بين الحق والباطل... والصادق والكاذب، وحقيقتها أنها خاطر يهجم على القلب، ينفي ما يضاده، يثب على القلب وثوب الأسد على الفريسة... وهذه الفراسة على حسب قوة الإيمان، فمن كان أقوى إيمانا، فهو أجد فراسة،..... وأصل

(١) ابن العربي: أحكام القرآن، ٣/ ١٠٧.

(٢) البزار: أحمد بن عمرو (ت: ٢٩٢هـ)، مسند البزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله وآخرين، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٣/ ٣٢٦، رقم: ٦٩٣٥، الطبراني: المعجم الأوسط، باب: من اسمه إبراهيم، ٣/ ٢٠٧، رقم: ٢٩٣٥، وإسناده حسن، ١٠/ ٢٦٨، رقم: ١٧٩٣٩.

(٣) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ١٠/ ٤٣.

(٤) ابن العربي: أحكام القرآن، ٣/ ١٠٦.

نوه الحديث على أهمية الصدق وأثره بتنمية العلاقة بين العبد وربّه، بما يرسخ الملكة الذوقية وينقيها من الدنس، وما يتركه الكذب من قطيعة بين العبد وبين الملائكة الأعلى، بما يحجب عنه أنوار الهداية والبصيرة

قال النووي: «قال العلماء: معناه أن الصدق يهدي إلى العمل الصالح الخالص من كل مذموم والبر اسم جامع للخير كله وقيل: البر الجنة ويجوز أن يتناول العمل الصالح والجنة وأما الكذب فيوصل إلى الفجور وهو الميل عن الاستقامة وقيل: الانبعاث في المعاصي»^(٤).

فكما أن البر سبب لانبعاث الطاعات في النفس بما يغذي الملكة الذوقية، فإن المعاصي تبعث على الفجور وموت الملكة الذوقية، فالفجور: هو الانبعاث إلى المعاصي والتوسع فيها، وركوب كل أمر قبيح، دون رغبة في التوبة والإنابة، وقال ابن حجر: «والفجور إكثار المعصية شبه بانفجار الماء ويطلق على الكذب»^(٥).

وقد حث النبي ﷺ على ضرورة التحري عن الحلال بما يعزز سلامة النفس ويحقق الطمأنينة، فعن النعمان بن بشير -رضي الله عنهما-، قال:

باب: قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، ٤ / ٢٠١٣، رقم: ٢٦٠٧.

(٤) النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ١٦ / ١٦٠ / .

(٥) ابن حجر: فتح الباري، ١ / ١٦٥ / .

نظرها على بلادة صاحبها، وضعف حرارة قلبه»^(١). وكان كثير من العلماء يعنيه حال من يطلب العلم في العلاقة مع الله تعالى، بما ينعكس على فهمه وذائقته، وقد تناول الفقهاء أثر القرب من الله في استدامة العلم وتكوين الملكة الذوقية، فكان من وصايا مالك للشافعي قوله: «إن الله ألقى على قلبك نوراً فلا تطفئه بالمعصية»^(٢).

• المطلب الثالث: الملكة الذوقية والتحري في طلب الحلال

التحري هو التبع الحثيث في استقصاء الحلال واستكشافه، بما يحقق صبغة الصدق بين العبد وربّه، وقد أشار رسول الله ﷺ إلى استدامة التحري بما يحافظ على سلامة القلب، سواء كان ذلك عن طريق اللسان بصدق القول أو عن طريق تغذية البدن بالطعام الحلال

وقد أمر الله تعالى بالصدق، قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، وحث النبي ﷺ على الصدق فعن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الصدق بر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن العبد ليتحرى الصدق، حتى يكتب عند الله صديقاً، وإن الكذب فجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن العبد ليتحرى الكذب، حتى يكتب كذاباً»^(٣).

(١) ابن القيم: مدارج السالكين، ٢ / ٤٥٣-٤٥٦.

(٢) الجويني: نهاية المطلب في دراية المذهب، ١ / ١١٢.

(٣) مسلم: صحيح مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب،

سمعت يقول: سمعت رسول الله ﷺ: «إن الحلال بين، وإن الحرام بين، وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه، وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى، يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت، صلح الجسد كله، وإذا فسدت، فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»^(١).

لأن الشيء إما أن ينص على طلبه مع الوعيد على تركه، أو ينص على تركه مع الوعيد على فعله، أو لا ينص على واحد منهما، فالأول الحلال البين، والثاني الحرام البين، فمعنى قوله: الحلال بين أي لا يحتاج إلى بيانه ويشترك في معرفته كل أحد، والثالث: مشتبه لخفائه فلا يدري هل هو حلال أو حرام، وما كان هذا سبيله ينبغي اجتنابه، لأنه إن كان في نفس الأمر حراماً فقد بريء من تبعته، وإن كان حلالاً فقد أجر على تركها بهذا القصد»^(٣).

قال العيني: «أجمع العلماء على عظم موقع هذا الحديث، وأنه أحد الأحاديث التي عليها مدار الإسلام. قالت جماعة: هو ثلث الإسلام، وأن الإسلام يدور عليه وعلى حديث «الأعمال بالنيات»، وحديث: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»، وقال أبو داود: يدور على أربعة أحاديث هذه الثلاثة وحديث: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»، قالوا: سبب عظم موقعه أنه، عليه السلام، نبه فيه على صلاح المطعم والمشرب والملبس والمنكح وغيرها، وأنه ينبغي أن يكون حلالاً، وأرشد إلى معرفة الحلال، وأنه ينبغي ترك المشتبهات، فإنه سبب لحماية دينه وعرضه، وحذر من مواقع الشبهات»^(٢).

وقال ابن حجر: «قوله الحلال بين والحرام بين إلخ فيه تقسيم الأحكام إلى ثلاثة أشياء، وهو صحيح

وخير القلوب من نزه نفسه عن المتشابه حفظاً لقلبه من الظلم، وانما يتميز الناس بما يصفو لهم من الود بسلامة قلوبهم، قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩]، وقد قسم الصحابة -رضي الله تعالى عنهم- القلوب إلى أربعة، كما جاء عن حذيفة بن اليمان -رضي الله عنه-: «القلوب أربعة: قلب أغلف، فذلك قلب الكافر، وقلب مصفح، فذلك قلب المنافق، وقلب أجرد فيه سراج يزهر، فذلك قلب المؤمن، وقلب فيه نفاق وإيمان، فمثل الإيمان كمثل شجرة يمدّها ماء طيب، ومثل النفاق مثل القرحة يمدّها قيح ودم، فأيهما ما غلب عليه غلب»^(٤).

(٣) ابن حجر: فتح الباري، ٤/ ٢٩١.

(٤) الأصبهاني: أبو نعيم أحمد بن عبد الله (ت: ٤٣٠هـ)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، السعادة، بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، ١/ ٢٧٦.

(١) أخرجه البخاري، ومسلم، وقد تقدم تخريجه.

(٢) العيني: عمدة القاري، ١/ ٢٩٩.

من هذا القسم فهو على الإباحة حتى يعلم تحريمه والأصل في هذا الحديث فيمن شك في الحدث بعد أن تيقن الطهارة، فعن عباد بن تميم، عن عمه، عن النبي ﷺ قال: «لا ينصرف حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً»^(٣).

القسم الثالث: أن يشك في شيء فلا يدري أحلال أم حرام ويحتمل الأمرين جميعاً، ولا دلالة على أحدهما فالأحسن التنزه كما فعل النبي ﷺ في التمرة الساقطة حين وجدها في بيته فقال: «لولا أنني أخاف أن تكون من الصدقة لأكلتها»^(٤).

والتنزه عن الشبهات هو الطريق الأقوم لتجنب الوقوع في الحرام، لأن مقارفة الشبهات مدعاة للوقوع في الحرام وذلك معنى قوله ﷺ: «ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام»^(٥)، وتفسيره من وجهين:

الأول: أن من لم يتق الله وتجرأ على الشبهات أفضت به إلى المحرمات، ويحمله التساهل في أمرها على الجرأة على الحرام كما قال بعضهم: المعاصي يريد الكفر، كما أن الحمى يريد الموت

وتختلف المشتبهات في طبيعتها ومناسبتها، ولذلك قسم بعض العلماء المشتبهات إلى ثلاثة أقسام:^(١)

القسم الأول: ما يعلم الإنسان أنه حرام ثم يشك في زوال تحريمه، كالذي يحرم على المرء أكله قبل الذكاة إذا شك في ذكاته لم يزل التحريم إلا بيقين الذكاة، والأصل في ذلك حديث عدى بن حاتم أنه قال: يا رسول الله إني أرسل كلبى وأسمي عليه فأجد معه على الصيد كلباً آخر قال: «لا تأكل إنما سميت على كلبك ولم تسم على غيره»^(٢)، فأفتاه رسول الله ﷺ بالشبهة أيضاً خوفاً من أن يكون الكلب الذي قتله غير مسمى عليه، فكأنه أهل لغير الله به وقد قال الله تعالى في ذلك: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام: ١٢١]، فكان في فتياه ﷺ دلالة على الاحتياط في الحوادث والنوازل المحتملة للتحليل والتحريم لاشتباه أسبابها.

القسم الثاني: أن يكون الشيء حلالاً فيشك في تحريمه كرجل له زوجة فشك في طلاقها، فما كان

(٣) البخاري: صحيح البخاري، كتاب: التوحيد، باب: من لم ير الوضوء إلا من المخرجين: من القبل والدبر، ١/ ٤٦، رقم: ١٧٧.

(٤) البخاري: صحيح البخاري، كتاب: في اللقطة، باب: إذا وجد تمر في الطريق، ٣/ ١٢٥، رقم: ٢٤٣١.

(٥) مسلم: صحيح مسلم، كتاب: المساقاة، باب: أخذ الحلال وترك الشبهات، ٣/ ١٢١٩، رقم: ١٥٩٩.

(١) ينظر: ابن دقيق العيد: محمد بن علي القشيري، (ت: ٥٧٠٢هـ)، شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، مؤسسة الريان، الطبعة: السادسة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣ م، ص ٤٦.

(٢) مسلم: صحيح مسلم، باب: الصيد بالكلاب المعلمة، كتاب: الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، ٣/ ١٣٢٥، رقم: ١٩٢٩.

وجدت نفسك ترتاب في الشيء، فاتركه، فإن نفس المؤمن تطمئن إلى الصدق، وترتاب من الكذب، فارتبابك من الشيء منبئ عن كونه مظنة للباطل، فاحذره، وطمأنيتك للشيء مشعر بحقيقته، فتمسك به»^(٣).

وهذا الحديث أصل في باب الورع، والحث على ترك المشتبهات، كما أنه أصل في باب الأخذ باليقين وترك المشكوك فيه، قال ابن رجب: «ومعنى هذا الحديث يرجع إلى الوقوف عند الشبهات واتقائها، فإن الحلال المحض لا يحصل لمؤمن في قلبه منه ريب، والريب: بمعنى القلق والاضطراب، بل تسكن إليه النفس، ويطمئن به القلب، وأما المشتبهات فيحصل بها للقلوب القلق والاضطراب الموجب للشك»^(٤).

وقال ابن عثيمين: «وهذا الحديث من جوامع الكلم، وما أجوده وأنفعه للعبد إذا سار عليه، فالعبد يرد عليه شكوك في أشياء كثيرة، فنقول: دع الشك إلى ما لاشك فيه، حتى تستريح وتسلم، فكل شيء يلحقك به شك وقلق وريب: اتركه إلى أمر لا يلحقك به ريب، وهذا ما لم يصل إلى حد الوسواس، فإن وصل إلى حد الوسواس فلا تلتفت له، وهذا يكون في العبادات، ويكون في المعاملات، ويكون في النكاح، ويكون في كل أبواب العلم، ومثال ذلك في العبادات: رجل انتقض وضوؤه، ثم صلى،

(٣) المناوي: فيض القدير، ٣/ ٥٢٩.

(٤) ابن رجب: جامع العلوم والحكم، ١/ ٢٨٠.

الصغيرة تجر لكبيرة وهي تجر للكفر»^(١).

الثاني: أن من أكثر من مواجهة الشبهات أظلم عليه قلبه، لفقدان نور الطاعة العلم ونور الورع، فيقع في الحرام وهو لا يشعر به وقد يآثم بذلك إذا تسبب منه إلى تقصير، وقد أكد رسول الله ﷺ على تلك القيمة، بما جعلها مبدأ يتعلمه الصغار قبل الكبار، فعن الحسن بن علي -رضي الله عنهما- قال: حفظت من رسول الله ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة، وإن الكذب ريبة»^(٢).

وجه الدلالة من النص: أن النبي ﷺ أوصل الأمر إلى ترك كل ما تستريب منه النفس، لأجل تحقيق الطمأنينة التي تعد ركيزة في بناء المملكة الذوقية، قال المناوي: قوله ﷺ: «دع ما يريبك» أي: اترك ما تشك في كونه حسناً أو قبيحاً، أو حلالاً أو حراماً، «إلى ما لا يريبك» أي: واعدل إلى ما لا شك فيه، يعني ما تيقنت حسنه وحلّه، «فإن الصدق طمأنينة» أي: يطمئن إليه القلب ويسكن، «وإن الكذب ريبة» أي: يقلق القلب ويضطرب، وقال الطيبي: جاء هذا القول ممهداً لما تقدمه من الكلام، ومعناه: إذا

(١) ينظر: الأصبهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ١٠/ ٢٢٩.

(٢) أحمد: مسند الإمام أحمد، مسند أهل البيت، حديث الحسن بن علي، ٣/ ٢٤٨، رقم: ١٧٢٣، الترمذي: سنن الترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، ٤/ ٦٦٨، رقم: ٢٥١٨، الطبراني: المعجم الكبير، ٣/ ٧٥، رقم: ٢٧٠٨، والحديث صحيح، ينظر: الألباني: صحيح الجامع الصغير وزياداته، ١/ ٦٣٧، رقم: ٣٣٧٨.

وجه الدلالة من النص أن النبي ﷺ حكم بمقتضى الدليل في ثبوت الولد للفراش، بالرغم من وجود القرينة التي تترك الريبة في ثبوت أخوة الولد للسيدة سودة، فأمرها بالاحتجاب منه بالرغم من حكمه بأخوتها من الرضيع، قال النووي: «وأما قوله ﷺ: «واحتجبي منه يا سودة» فأمرها به ندبا واحتياطاً لأنه في ظاهر الشرع أخوها لأنه ألحق بأبيها لكن لما رأى الشبهه البين بعتبة بن أبي وقاص خشي أن يكون من مائه فيكون أجنياً منها فأمرها بالاحتجاب منه احتياطاً^(٣).

ومن التطبيقات في ذلك ما التفت إليه الفقهاء من ضرورة العناية بأصحاب تلك القلوب من أي ريبة، تؤثر على صلة القلب بالملكة الذوقية، ولم تخل فتاوى السلف من هذا النمط، الذي يعزز السلوك الشخصي للمستفتي إذا ما كانت الأسئلة بهذا الخصوص، «وقيل: جاءت أخت بشر الحافي إلى أحمد ابن حنبل وقالت: إنا نغزل على سطوحنا فتمر بنا مشاعل الظاهرية ويقع الشعاع علينا أفيجوز لنا الغزل في شعاعها فقال أحمد: من أنت عافاك الله تعالى، فقالت: أخت بشر الحافي فبكى أحمد وقال: من بيتكم يخرج الورع الصادق لا تغزلي في شعاعها»^(٤).

وشك هل توضعاً بعد نقض الوضوء أم لم يتوضأ؟ فوقع في الشك، فإن توضعاً فالصلاة صحيحة، وإن لم يتوضأ فالصلاة باطلة، وبقي في قلق؛ فنقول: دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فالريب هنا صحة الصلاة، وعدم الريب أن تتوضأ وتصلي، وعكس المثال السابق: رجل توضعاً ثم صلى وشك هل انتقض وضوءه أم لا؟ فنقول: دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، عندك شيء متيقن وهو الوضوء، ثم شككت هل طرأ على هذا الوضوء حدث أم لا؟ فالذي يترك هو الشك: هل حصل حدث أو لا؟ وأرح نفسك، واترك الشك»^(١).

والمملكة الذوقية تنأى بصاحبها عن أي ريبة تعطل فراستها في التعرف على الحق، أو الفصل في المتشابهات، وهو ما رسخه النبي ﷺ في نفوس أصحابه، فعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: اختصم سعد بن أبي وقاص، وعبد بن زمعة في غلام، فقال سعد: هذا يا رسول الله ابن أخي عتبة بن أبي وقاص، عهد إلي أنه ابنه انظر إلى شبهه، وقال عبد بن زمعة: هذا أخي يا رسول الله، ولد على فراش أبي من وليدته، فنظر رسول الله ﷺ إلى شبهه، فرأى شبيهاً بينا بعتبة، فقال: «هو لك يا عبد بن زمعة، الولد للفراش وللعاهر الحجر، واحتجبي منه يا سودة بنت زمعة» فلم تره سودة قط^(٢).

(٣) النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ١٠

(٤) القشيري: عبد الكريم بن هوازن (ت: ٤٦٥هـ)، الرسالة القشيرية، تحقيق: عبد الحلیم محمود، محمود بن

(١) ابن عثيمين: شرح الأربعين النووية، ١/ ١٥٤.

(٢) البخاري: صحيح البخاري، كتاب: البيوع، باب: شراء المملوك من الحربي وهبته وعتقه، ٣/ ٨١، رقم: ٢٢١٨.

• المطلب الرابع: المملكة الذوقية والأساس العلمي والمعرفي

الاجتهاد الفقهي عملية عقلية، يقصد منها تحصيل الحكم الشرعي، سواء عن طريق النظر في الأدلة التفصيلية من الكتاب والسنة والإجماع والقياس، أو عن طريق النظر في نصوص العلماء، فالاجتهاد والمملكة الفقهية متقاربان من حيث القدرة على استنباط الأحكام وفقه المعاني.

وعدّ النبي ﷺ المملكة الذوقية في تحصيل الفقه من الخير الذي يسوقه الله تعالى لمن يشاء من عباده، فقال ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»^(١)، قال ابن بطال: «فيه فضل العلماء على سائر الناس، وفيه فضل الفقه في الدين على سائر العلوم، وإنما ثبت فضله، لأنه يقود إلى خشية الله، والتزام طاعته، وتجنب معاصيه»^(٢).

والاجتهاد لغة: من «(جهد) الجيم والهاء والذال أصله المشقة، ثم يحمل عليه ما يقاربه، يقال: جهدت نفسي وأجهدت والجهد الطاقة»^(٣)، والاجتهاد اصطلاحاً: «استفراغ الفقيه الوسع لتحصيل الظن بحكم شرعي»^(٤).

قال الدهلوي: «حقيقة الاجتهاد- على ما يفهم من كلام العلماء- استفراغ الجهد في إدراك الأحكام الشرعية الفرعية من أدلتها التفصيلية الراجعة كلياتها إلى أربعة أقسام: الكتاب والسنة والإجماع والقياس، ويفهم من هذا أنه أعم من أن يكون استفراغاً في إدراك حكم ما سبق التكلم فيه من العلماء السابقين أو لا، وافقهم في ذلك أو خالف، ومن أن يكون ذلك بإعانة البعض في التنبيه على صور المسائل والتنبيه على مآخذ الأحكام من الأدلة التفصيلية أو بغير إعانة منه، فما يُظنُّ فيمن كان موافقاً لشيخه في أكثر المسائل- لكنه يعرف لكل حكم دليلاً ويطمئن قلبه بذلك الدليل وهو على بصيرة من أمره- أنه ليس بمجتهد ظنُّ فاسد»^(٥). وعليه فإن الاجتهاد هو معرفة الحكم الشرعي بدليله ولو كان متبعاً لغيره في الحكم، فإذا وصل الفقيه لهذه المرحلة كان ذا ملكة فقهية، فالاجتهاد والمملكة الفقهية وجهان لعملة واحدة، لأن الفقيه من اتصف بعلم الفقه أو بالاجتهاد، قال ابن الموقت: «والظاهر: كلام الأصوليين أنه لا يتصور فقيه غير مجتهد، ولا مجتهد غير فقيه على الإطلاق، وهو بالغ عاقل مسلم ذو ملكة، يقتدر بها على استنتاج الأحكام من مأخذها»^(٦).

والنظار، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ -

١٩٨٥ م، ١/ ٣٠.

(٥) الدهلوي: أحمد بن عبد الرحيم (ت: ١١٧٦ هـ)، عقد

الجيد في أحكام الاجتهاد والتقليد، تحقيق: محب الدين

الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، ص ٣.

(٦) ابن الموقت الحنفي: محمد بن محمد المعروف

الشريف، دار المعارف، القاهرة، ١/ ٢٣٥.

(١) أخرجه البخاري ومسلم، وقد تقدم تخريجه.

(٢) ابن بطال: شرح صحيح البخاري لابن بطال، ١/ ١٥٤.

(٣) ابن فارس: مقاييس اللغة، ١/ ٣٨٦.

(٤) الحموي: أحمد بن محمد مكي، الحسيني الحنفي

(ت: ١٠٩٨ هـ)، غمز عيون البصائر في شرح الأشباه

الدكتور عمر شاعر الكبسي || ١٩٣

قلوب خواص خلقه ومصداقها في قول النبي ﷺ
ان لكل امة ملهم، واما ان تكون خبرة امتزجت
بطول الزمن مع العلم والصلاح فتولد عنها ذوقا
يمايز بين الأمور.

٧- الملكة الذوقية اجتهاد معتبر تدعمه النصوص
الشرعية فاذا استوفى شروطه فلا ريبه في الاحتكام
اليه.

٨- استعمل الفقهاء على اختلاف مذاهبهم ما يعبر
عن الملكة الذوقية فقالوا: واستحسن، واحب واكره
ويعجبني ولا يعجبني وغيرها من الالفاظ التي تنم
عن الذائقة في اختار الحكم.

ثانيا: أهم التوصيات

١- ينبغي على الباحثين والمشتغلين بالعلوم الشرعية
البحث في مواضيع الملكة الفقهية والفراسة الذهنية
وأثرها في مجالات الاعتقاد والشعائر الإسلامية.
٢- اعتماد برامج علمية في مناهج وطرائق التدريس،
لتطوير القدرات الذهنية والفكرية، وشحذ الهمم
الذوقية والمعرفية.



الخاتمة

• في اهم النتائج والتوصيات

بعد بيان تم عرضه في البحث يمكن للباحث
تلخيص اهم النتائج والتوصيات بما يأتي:

أولاً: أهم النتائج

١- الملكة الذوقية هيئة راسخة في النفس حاصلة
عن تراكم معرفي في دراسة علم ما ومقرون برقابة
الله والخشية منه.

٢- سلامة الملكة الذوقية من افات الهوى والتشهي
بجامع امرين مهمين هما خشية الله واتراكم
الخبرات العلمية

٣- الاحكام الصادرة عن الملكة الذوقية احكام
اجتهادية ظنية غير ملزمة فيمكن قبولها او رفضها

٤- استعمل المحدثون والفقهاء الملكة الذوقية
في الحكم على الاحاديث وترجيح الفقهاء الا
ان المحدثين كانوا اكثر جراءة في الإفصاح عن
ملكاتهم.

٥- بالمقارنة بين معنى الملكة والفطرة وغيرها
تبين ان الملكة قد تكون موهبة بالتأييد وقد تكون
مكتسبة بالمراس والخبرة

٦- الملكة الذوقية ليست ضرباً من التخمين
والتخرص بل هي اما نور وحكمة يقذفها الله في

بابن أمير حاج (ت: ٨٧٩هـ)، التقرير والتحبير، دار الكتب
العلمية، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣ - ١٩٨٣م، ٢٩١/١.

بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

٧- البخاري: محمد بن إسماعيل (ت: ٢٥٦هـ)،

الأدب المفرد، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني،

دار الصديق للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة،

١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٨- البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله

الجعفي، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير

بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى،

١٤٢٢هـ.

٩- البركتي: محمد عميم الإحسان المجددي،

التعريفات الفقهية، نشر: دار الكتب العلمية، ط ١،

١٤٢٤هـ.

١٠- البركتي: محمد عميم الإحسان المجددي،

قواعد الفقه، الصدف ببلشرز-كراتشي، ط ١،

١٤٠٧هـ.

١١- البزار: أحمد بن عمرو (ت: ٢٩٢هـ)، مسند

البزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله وآخرين،

مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة:

الأولى.

١٢- البزدوي، علاء الدين عبد العزيز بن أحمد

البخاري، كشف الأسرار تحقيق: عبد الله محمود

محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ

- ١٩٩٧م.

١٣- البيهقي: معرفة السنن والآثار، تحقيق: سيد

كسروي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٤- الجويني: عبد الملك بن عبد الله الملقب

قائمة المصادر

- بعد القرآن الكريم.

١- الأبشيهي: محمد بن أحمد (ت: ٨٥٢هـ)،

المستطرف في كل فن مستطرف، عالم الكتب،

بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ.

٢- الأجرى: محمد بن الحسين البغدادي (ت:

٣٦٠هـ)، الشريعة، تحقيق: عبد الله بن عمر بن

سليمان الدميحي، دار الوطن، الرياض، السعودية،

الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٣- أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت: ٢٤١هـ)،

فضائل الصحابة، تحقيق: وصي الله محمد عباس،

مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ -

١٩٨٣م.

٤- الأزموي: سراج الدين محمود بن أبي بكر

(ت: ٦٨٢هـ)، التحصيل من المحصول، تحقيق:

عبد الحميد علي أبو زيد، رسالة دكتوراه، مؤسسة

الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان،

الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٥- ابن الأزرقي الغرناطي، محمد بن علي بن محمد

الأصبحي الأندلسي، بدائع السلك في طبائع

الملك، تحقيق: د. علي سامي النشار، نشر: وزارة

الإعلام، العراق، ط ١.

٦- الأصبهاني: أبو نعيم أحمد بن عبد الله (ت:

٥٤٣٠هـ)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، السعادة،

الدكتور عمر شاكركبيسي || ١٩٥

- ٢١- الدارمي: عبد الله بن عبد الرحمن، التميمي المذهب، تحقيق: عبد العظيم محمود الديب، دار المنهاج، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨-٢٠٠٧م.
- ١٥- ابن أبي حاتم: عبد الرحمن بن محمد، (ت: ٣٢٧هـ)، العلل لابن أبي حاتم، تحقيق: فريق من الباحثين، مطابع الحميضي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧-٢٠٠٦م.
- ١٦- ابن حجر: أحمد بن علي العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، تقريب التهذيب، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد، سورية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- ١٧- ابن حجر: أحمد بن محمد الهيتمي، تحفة المحتاج في شرح المنهاج، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ثم دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٥٧هـ-١٩٨٣م.
- ١٨- الحموي: أحمد بن محمد مكي، الحسيني الحنفي (ت: ١٠٩٨هـ)، غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- ١٩- الخطيب البغدادي: أحمد بن علي (ت: ٤٦٣هـ) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق: محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض.
- ٢٠- ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد الحضرمي الإشبيلي (ت: ٨٠٨هـ)، تاريخ ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- ٢١- الدارمي: عبد الله بن عبد الرحمن، التميمي السمرقندي (ت: ٢٥٥هـ)، سنن الدارمي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المغني للنشر والتوزيع، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ-٢٠٠٠م.
- ٢٢- ابن دقيق العيد: محمد بن علي القشيري، (ت: ٧٠٢هـ)، شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، مؤسسة الريان، الطبعة: السادسة ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- ٢٣- الدهلوي: أحمد بن عبد الرحيم (ت: ١١٧٦هـ)، عقد الجيد في أحكام الاجتهاد والتقليد، تحقيق: محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة.
- ٢٤- الدينوري: أحمد بن مروان المالكي (ت: ٣٣٣هـ)، المجالسة وجواهر العلم، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، جمعية التربية الإسلامية، البحرين، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ.
- ٢٥- الراغب: الحسين بن محمد الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.
- ٢٦- الزركشي: بدر الدين محمد بن عبد الله (ت: ٧٩٤هـ)، البحر المحيط، دار الكتبي، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
- ٢٧- الزمخشري: محمود بن عمر (ت: ٥٣٨هـ)، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى،

- ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م. الكتب الحديثة، مصر، القاهرة.
- ٢٨- السخاوي: فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي، تحقيق: علي حسين علي، مكتبة السنة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- ٢٩- السخاوي: محمد بن عبد الرحمن (ت): فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي، تحقيق: علي حسين علي، مكتبة السنة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- ٣٠- ابن سعد: محمد بن سعد، البصري، البغدادي (ت: ٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- ٣١- السندي، أبو الحسن نور الدين محمد بن عبد الهادي، حاشية مسند الإمام أحمد بن حنبل، اعتنى به: نور الدين طالب، نشر: دار النوادر، بيروت، ط١، ١٤٢٨هـ.
- ٣٢- السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت: ٩١١هـ) تقرير الاستناد في تفسير الاجتهاد، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الدعوة، الاسكندرية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ.
- ٣٣- الشنقيطي، عبد الله بن إبراهيم العلوي، نشر البنود على مراقبي السعود، تقديم: الداى ولد سيدي بابا - أحمد رمزي، مطبعة فضالة، المغرب، بدون طبعة وبدون تاريخ.
- ٣٤- الشوكاني: محمد بن علي (ت: ١٢٥٠هـ)، ولاية الله والطريق إليها، تحقيق: إبراهيم هلال، دار
- ٣٥- الشيرازي: إبراهيم بن علي بن يوسف (ت: ٤٧٦هـ)، التبصرة، تحقيق: محمد حسن هيتو، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٣هـ.
- ٣٦- ابن عادل: عمر بن علي (ت: بعد ٨٨٠هـ)، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- ٣٧- العباد: عبد المحسن بن حمد البدر، شرح الأربعين النووية، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.
- ٣٨- عثمان شبير، تكوين الملكة الفقهية، سلسلة كتاب الأمة، العدد ٧٢، رجب ١٤٢٠هـ.
- ٣٩- العثيمين: محمد بن صالح (ت: ١٤٢١هـ)، شرح رياض الصالحين، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: ١٤٢٦هـ.
- ٤٠- ابن العربي: القاضي محمد بن عبد الله المعافري الإشبيلي المالكي (ت: ٥٤٣هـ)، المحصول، تحقيق: حسين علي البدري، سعيد فودة، دار البيارق، عمان، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- ٤١- العطار: حسن بن محمد الشافعي (ت: ١٢٥٠هـ) حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، دار الكتب العلمية، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.
- ٤٢- الغزالي: محمد بن محمد (ت: ٥٠٥هـ)، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت. توربشتي:

الدكتور عمر شاكر الكبسي || ١٩٧

- فضل الله بن حسن (ت: ٦٦١ هـ) الميسر في شرح مصابيح السنة، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة: الثانية، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
- ٤٣- ابن فارس: أبو الحسين أحمد بن زكريا (المتوفى: ٣٩٥ هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
- ٤٤- ابن فارس: أحمد بن زكريا (المتوفى: ٣٩٥ هـ)، مجمل اللغة لابن فارس، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
- ٤٥- القرطبي: يوسف بن عبد الله (ت: ٤٦٣ هـ)، جامع بيان العلم وفضله، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.
- ٤٦- القشيري: عبد الكريم بن هوازن (ت: ٤٦٥ هـ)، الرسالة القشيرية، تحقيق: عبد الحليم محمود، محمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة.
- ٤٧- ابن القيم: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- ٤٨- ابن القيم: عبد الرحمن بن علي الجوزي (ت: ٥٩٧ هـ)، كشف المشكل من حديث الصحيحين، تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض.
- ٤٩- ابن القيم: الجواب الكافي لمن سأل عن
- الدواء الشافي، دار المعرفة، المغرب، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
- ٥٠- ابن القيم: الفروسية، تحقيق: مشهور بن حسن، دار الأندلس، السعودية، حائل، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.
- ٥١- ابن القيم: محمد بن أبي بكر الجوزي (ت: ٥٧١ هـ)، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.
- ٥٢- ابن كثير: إسماعيل بن عمر القرشي البصري الدمشقي (ت: ٧٧٤ هـ) اختصار علوم الحديث، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الثانية.
- ٥٣- الكفوي: أيوب بن موسى الحسيني (ت: ١٠٩٤)، الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- ٥٤- الكناني: أحمد بن أبي بكر البوصيري الشافعي (ت: ٨٤٠ هـ)، مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، تحقيق: محمد المنتقى الكشناوي، دار العربية، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣ هـ.
- ٥٥- المرادوي: علي بن سليمان (ت: ٨٨٥ هـ)، التجبير شرح التحرير، تحقيق: عبد الرحمن الجبرين، وآخرين، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

٥٦- مسلم: بن الحجاج أبو الحسن القشيري
النيسابوري (المتوفى: ٥٢٦١هـ)، صحيح مسلم،
المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء
التراث العربي، بيروت.

٥٧- المناوي: محمد عبد الرؤوف (ت: ١٠٣١)،
التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: محمد
رضوان الدايدة، دار الفكر المعاصر، دار الفكر،
بيروت، دمشق ١٤١٠هـ..

٥٨- ابن الموقت الحنفي: محمد بن محمد
المعروف بابن أمير حاج (ت: ٨٧٩هـ)، التقرير
والتحبير، دار الكتب العلمية، الطبعة: الثانية،
١٤٠٣ - ١٩٨٣م.

